

3 me Année, No. 81. — Lundi-21-1-1935

بدل الاشتراك عن سنة

٦٠	فى مصر والسودان
٨٠	فى الأقطار العربية
١٠٠	فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠	فى العراق بالبريد السريع
١	ثمن العدد الواحد

الأعلانات يتفق عليها مع الأدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
بشارع البدولى رقم ٣٢
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٨١ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٦ شوال سنة ١٣٥٣ — ٢١ يناير سنة ١٩٣٥ » السنة الثالثة

فهرس العـــدد

الحـــج ....

لبيك اللهم لبيك !!

الحج والزكاة هما الركنان الاجتماعيان من أركان الدين ، يقوم عليهما الأمر بين الفرد والفرد ، وبين الفرد والجماعة ، كما يقوم على الثلاثة الأُخَر الأمر بين المرء وربه ، وبين المرء ونفسه ؛ فالزكاة تقيم نظام المجتمع على التعاطف والرحمة ، والحج يقيمها على التعارف والألفة ، فيحقق الأول بنفى العقوق معنى الأخاء ، ويحقق الثانى بمحو الفروق معنى المساواة ؛ والإخاء والمساواة شعار الاسلام ، وقاعدة السلام ، ومِلاك الحرية ، ومعنى المدنية الحق ، وروح الديمقراطية الصحيحة

كان الحج ومازال مَطْهَرَ الدنيا : ترحض فيه النفوس عن جوهرها أوزار الشهوات وأوْضار المادة ؛ وكان الحج وما زال ينبوع السلامة : تَبْرد عليه الأكباد الصادية ، وترفُه لديه الأعصاب الوانية ؛ وكان الحج ومازال مثابة الأمن : تأنس فيه الروح إلى موضع الإلهام ، ويسكن الوجدان إلى منشأ العقيدة ، وينبسط الشعور بذلك الأشراق الإلهى فى هذه الأرض السماوية ؛

وكان الحج ومازال موعد المسلمين فى أقطار الأرض على (عرفات): يتصافقون على الوداد، ويتآلفون على البعاد، ويقفون سواسية أمام الله حاسرى الرءوس، خاشعى النفوس، يرفعون اليه دعوات واحدة، فى كلمات واحدة، تتصعّد بها الأنفاس المضطرمة المؤمنة تصعُّدَ البخور من مجامر الطيب، أو العطور من نوافح الروض! هنالك يتف المسلمون فى هذا الحشر الدنيوى حيث وقف صاحب الرسالة، وحواريو النبوة، وخلفاء الدعوة، وأمراء العرب، وملوك الاسلام، وملايين الحجيج من مختلف الألوان والألسن، فيمزجون الذكرى بالذكر، ويصلون النظر بالفكر، ويذكرون فى هذه البقعة المحدودة، وفى هذه الساعة الموعودة، كيف اتصلت هنا السماء بالأرض، ونزل الدين على الدنيا، وتجلّى الله للانسان، ونبت من هذه الصحراء الجديبة جنات الشرق والغرب، وثمرات العقل والقلب، وبينات الهدى والسكينة

***

الحج مؤتمر الاسلام العام، يجدد فيه حبله، ويتعهد به أهله، ويؤلف بين القلوب فى ذات الله، ويؤاخى بين الشعوب فى أصل الحق، ويستعرض علائق الناس كل عام فيوشجها بالأحسان، ويوثقها بالتضامن، وينضح من منابعه الأولى على الآمال الذاوية فتنضُر، وعلى العزائم الخابية فتذكو، ثم يجمع الشكاوى المختلفة من شفاه المنكوبين بالسياسة المادية، والمدنية الآلية، والمطامع الغربية، فيؤلف منها دعاء واحداً تجأر به النفوس المظلومة جؤاراً تردده الصحراء والسماء!

وما أحوج المسلمين اليوم إلى شهود هذا المؤتمر! لقد حصرهم المستعمرون فى أوطانهم المغصوبة، ثم قطّعوا بينهم الأسباب، وحرّموا عليهم التواصل، وفصلوهم عن الماضى الملهم والمستقبل الواعد، بطمس التاريخ، وقتل اللغة، وإطفاء الدين، فلم يبق لهم جُمعة إلا فى هذا الموسم

***

إن فى كل بقعة من بقاع الحجاز أثراً للتضحية ورمزاً للبطولة، فالحج إليها إيحاء بالعزة، وحفز إلى السموّ، وحث على التحرر: هنا غار (حراء) مهبط الوحى، وهنا (دار الأرقم) رمز التضحية، وهنا (جبل ثور) منشأ المجد، وهذا هو البيت الذى احتبى بفنائه أبو بكر وعمر وعلى وعمرو وسعد وخالد، وهذا الشِّعب وذاك مجرُّ أذيال الغطاريف من بنى هاشم وبنى أمية، وتلك هى البطحاء التى درج على رمالها قواد العالم وهداة الخليقة!!

***

«ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا». أما شرط الاستطاعة فقد بطل اليوم، وأصبح الحج فريضة عين لا تحول عن أدائها عقبة، ولا يَسوغُ فى تركها معذرة؛ فأنت تستطيع بالمال اليسير وفى الزمن القصير أن تحج على الباخرة والسيارة والطيارة، دون أن تعرض حياتك للموت، وثروتك للنهب، وصحتك للمرض!

وهذه (شركة مصر للملاحة البحرية) تتعهد لك (بزمزم) و(الكوثر) أن تكفلك وتحملك وتعلمك وتغذيك وتؤويك وتحميك فى البحر والبر تحت علَم دولتك، ورعاية مواطنيك؛ فلا تكابد وعث الصحراء وعبث الأشقياء، ولا تقاسى بُعدَ الشقة وطول الغربة

لقد كان الحج لرهَقه الشديد وجهده الجاهد يكاد يكون مقصوراً على الطبقات الخشنة من الزراع والصناع والعملة؛ أما الناعمون المترفون من أولى الأمر، وذوى الرأى، وأصحاب الزعامة، فما كانوا يقدمون عليه ولا يفكرون فيه، فظل جَداه على المسلمين ضئيلا لا يتعدى الحدود الخاصة من قضاء المناسك وأداء الزيارة. فماذا يمنع الكبراء والزعماء اليوم أن يتوافوا على ميعاد الله، ما دامت هذه الشركة المصرية الخالصة قد تحملت عنهم أكلاف السفر، وضمنت لهم وسائل العيش، ووفرت عليهم أسباب الرفاهية، حتى ليكتفى المسافر بحقيبة ثيابه؟

***

إن فى حج سراة العرب والمسلمين إعلاء لشأن الملة، وإغراء بأداء الفريضة، وسعياً لجمع الكلمة، وسبيلا الى الوحدة المرجوة. وإن مقام ابراهيم الذى انبثق منه النور، ونزل فيه الفرقان، وانتظم عليه الشمل، لا زال مناراً للأمة، ومثاراً للهمة، ومشرق الأمل الباسم بالعصر الجديد.

احمد حسن الزيات

وحى القبور

للأستاذ مصطفى صادق الرافعى

ذهبتُ فى صُبح يوم عيد الفطر أحملُ نفسى بنفسى إلى المَقْبرة ، وقد مات لى من الخواطر مَوْتَى لا مَيتٌ واحد ؛ فكنتُ أمشى وفىَّ جنازَةٌ بمُشَيِّعيها من فكرٍ يحملُ فكراً ، وخاطرٍ يتبعُ خاطراً ، ومعنىً يَبكى ومعنىً يُبكى عليه ؛ وكذلك دأبى كلما انحدرتَ فى هذه الطريق إلى ذلك المكان الذى تأتيه العيونُ بدموعها ، وتمشى إليه النفوسُ بأحزانها ، وتجىء فيه القلوبُ إلى بقاياها . تلك المقابرُ التى لا يَتنادَى أهلُها من أهليهم بالأسماء ولا بالألقاب ولكن بهذا النداء : يا أحبابَنا ؛ يا أحزانَنا

ذهبتُ أزور أمواتى الأعزاء وأتصلُ منهم بأطراف نفسى لأحيا معهم فى الموت ساعةً أعرِضُ فيها أمرَ الدنيا على أمر الآخرة ، فأنسى وأذكر ، ثم أنظرُ وأعتبر ، ثم أتعرَّف وأتوسّم ، ثم أستَبطِنهُما فى بطن الأرض ، وأستَظهِرُهما على ظهرها ؛ وجلستُ هناك أُشرِفُ من دهرٍ على دهرٍ ومن دنيا على دنيا ، وأخرجتِ الذاكرةُ أفراحها القديمةَ لتجعلَها مادةً جديدةً لأحزانها ؛ وانفتح لى الزمنُ الماضى فرأيتُ رَجْعَةَ الأمس ، وكأن دهراً كاملاً خُلق بحوادثه وأيامه ورُفع لعينىَّ كما تُرفَع الصورةُ المعلقةُ فى إطارها

أعرف أنهم ماتوا ، ولكنى لم أشعر قطُّ إلا أنهم غابوا ؛ والحبيبُ الغائبُ لا يتغيّرُ عليه الزمانُ ولا المكانُ فى القلب الذى يحبه مهما تَراخَتْ به الأيام ؛ وهذه هى بقية الروح إذا امتزجت بالحب فى روح أخرى ، تترك فيها مالا يُمحَى لأنها هى خالدة لا تُمحَى

ذهب الأمواتُ ذَهابَهم ولم يقيموا فى الدنيا ؛ ومعنى ذلك أنهم مرُّوا بالدنيا ليس غير ، فهذه هى الحياة حين تعبِّر عنها النفسُ بلسانها لا بلسان حاجتها وحرصها

الحياة مدةُ عمل ، وكأن هذه الدنيا بكل ما فيها من المتناقضات إن هى إلا مَصنَعٌ يُسَوَّغ كلُّ إنسانٍ جانباً منه ، ثم يقال له : هذه هى الأداة فاصنع ما شئتَ ، فضيلتك أو رذيلتك

* * *

جلستُ فى المقبرة ، وأطرقتُ أفكر فى هذا الموت . يا عجباً للناس كيف لا يستشعرونه وهو يهدمُ من كل حىّ أجزاء تحيط به قبل أن يهدمَه هو بجملته ، وما زال كلُّ بُنيانٍ من الناس به كالحائط المُسَلَّطِ عليه خرابُه يَتأكَّل من هنا ويتناثرُ من هناك

يا عجباً للناس عجباً لا ينتهى ، كيف يجعلون الحياةَ مدةَ نزاع وهى مدةُ عمل ؛ وكيف لا تبرحُ تَنزُو النَّوازى بهم فى الخلاف والباطل ، وهم كلما تَدافَعوا بينهم قضيةً من النزاع فضربوا خصماً بخصم وردُّوا كَيْداً بكيد ، جاء حكمُ الموت تكذيباً قاطعاً لكل من يقول لشىءٍ هذا لى

أما والله إنه ليس أعجبُ فى السخرية بهذه الدنيا من أن يُعطَى الناسُ ما يملكونه فيها لأثبات أن أحداً منهم لا يملك منها شيئاً ، إذ يأتى الآتى إليها لحماً وعظماً ولا يرجع عنها الراجعُ إلا لحماً وعظماً ، وبينهما سفاهةُ العظم واللحم حتى على السِّكِّين القاطعة . . .

تأتى الأيامُ وهى فى الحقيقة تَفِرُّ فِرارَها ؛ فمن جاء من عمره عشرون سنةً فانما مضت هذه العشرون من عمره . ولقد كان ينبغى أن تُصَحِّحَ أعمالُ الحياة فى الناس على هذا الأصل البَيِّن ، لولا الطباعُ المدخولةُ والنفوسُ الغالةُ والعقولُ الضعيفةُ والشهواتُ العارمة ؛ فانه ما دام العمرُ مُقبِلاً مُدبِراً فى اعتبار واحد ، فليس للانسان أن يتناولَ من الدنيا إلا ما يُرضيه محسوباً له ومحسوباً عليه فى وقتٍ معاً . وتكونُ الحياةُ فى حقيقتها ليست شيئاً إلا أن يكون الضميرُ الانسانىُّ هو الحىَّ فى الحى

* * *

وما هى هذه القبور ؟ لقد رجعتْ عند أكثر الناس مع الموتى أبنيةً ميتة ؛ فما قطُّ رأوها موجودةً إلا لينسَوا أنها موجودة . ولولا ذلك من أمرِهم لكان للقبر معناه الحىُّ المُتغَلغِل

في الحياة إلى بعيد ؛ فما القبرُ إلا بناءٌ قائمٌ لفكرة النهاية والانقطاع ؛ وهو في الطَّرف الآخر رَدٌّ على البيت الذي هو بناءٌ قائم لفكرة البَدء والاستمرار ؛ وبين الطَّرفين المَعْبَدُ وهو بناءٌ لفكرة الضمير الذي يحيا في البيت وفي القبر ، فهو على الحياة والموت كالقاضي بين خصمين يُصْلِح بينهما صُلحاً أو يقضي

القبرُ كلمةُ الصدق مبنيةً متجسِّمةً ، فكل ما حولها يَتكَذَّبُ ويتأوَّل ، وليس فيها هي إلا معناها لا يَدخُلُه كذبٌ ولا يعتريه تأويل . وإذا ماتت في الأحياء كلمةُ الموت من غرورٍ أو باطلٍ أو غفلةٍ أو أثرة ، بقي القبرُ مذَكِّراً بالكلمة شارحاً لها بأظهر معانيها داعياً إلى الاعتبار بمدلولها ، مبيِّناً بما ينطوي عليه أن الأمر كلَّه للنهاية

القبر كلمةُ الأرض لمن ينخدعُ فيرى العمر الماضي كأنه غيرُ ماضٍ ، فيعملُ في إفراغ حياته من الحياة (١) بما يملؤها من رذائله وخسائسه ، فلا يزال دائباً في معاني الأرض واستجماعها والاستمتاع بها ، يتلو في ذلك تِلْوَ الحيوانِ ويقتاسُ به فشريعتُه جوفُه وأعضاؤه . وترجعُ بذلك حيوانيتُه مع نفسه الروحانية ، كالحمار الذي يملكه ويعلفه ، لو سئل الحمارُ عن صاحبه من هو ؟ لقال : هو حماري . . . . . .

القبرُ على الأرض كلمةٌ مكتوبةٌ في الأرض إلى آخر الدنيا معناها أن الانسان في قانون نهايته فلينظر كيف ينتهي

* * *

إذا كان الأمر كله للنهاية ، وكان الاعتبارُ بها والجزاءُ عليها ، فالحياةُ هي الحياةُ على طريقة السلامة لا غيرها . طريقة إكراه الحيوان الانسانيّ على ممارسة الأخلاقية الاجتماعية ، وجعلها أصلاً في طباعه ، ووزن أعماله بنتائجها التي تنتهي بها ، إذ كانت روحانيتُه في النهايات لا في بداياتها

في الحياة الدنيا يكون الانسانُ ذاتاً تعملُ أعمالَها ؛ فاذا انتهت الحياةُ انقلبت أعمالُ الانسان ذاتاً يخلَدُ هو فيها ؛ فهو من الخير خالدٌ في الخير ومن الشر هو خالد في الشر ؛ فكأن الموت إنْ هو إلا ميلادٌ للروح من أعمالها ؛ تولد مرتين آتيةً وراجعة

وإذا كان الأمر للنهاية فقد وجب أن تبطلَ من الحياة نهاياتٌ كثيرة فلا يُترك الشرُّ يمضي إلى نهايته بل يُحْسَم في بدئه ويُقتل في أول أنفاسه ؛ وكذلك الشأنُ في كل ما لا يحسن أن يبدأ ، فانه لا يجوز أن يمتدَّ كالعداوة والبغضاء ، والبخل والأثرة ، والكبرياء والغرور ، والخداع والكذب ؛ وما شابَكَ هذه أو شابَهَهَا ، فانها كلها انبعاثٌ من الوجود الحيوانيّ وانفجارٌ من طبيعته ؛ ويجب أن يكون لكل منها في الارادة قبرٌ كي تسلَمَ للنفس الطيبة إنسانيتُها إلى النهاية

* * *

يامن لهم في القبور أموات !

إن رؤية القبر زيادة في الشعور بقيمة الحياة ، فيجب أن يكون معنى القبر من معاني السلام العقلي في هذه الدنيا

القبر فمٌ ينادي : أسرعوا أسرعوا فهي مدة لو صُرفت كلها في الخير ما وَفَتْ به ؛ فكيف يضيع منها ضَياعٌ في الشر أو الأثم ؟ لو وُلد الانسان ومشى وأيفعَ وشبَّ واكتَهَلَ وهَرِمَ في يوم واحد ، فما عساه كان يُضيع من هذا اليوم الواحد ؟ إن أطول الأعمار لا يراه صاحبه في ساعة موته إلا أقصرَ من يوم

ينادي القبر : أصلحوا عيوبَكم ، وعليكم وقتٌ لاصلاحها . فانها إن جاءت إلى هنا كما هي بقيت كما هي إلى الأبد ، وتركها الوقت وهرب

هنا قبر ، وهناك قبر ، وهنالك القبر أيضاً . فليس ينظر في هذا عاقلٌ إلا كان نظره كأنه حكمُ محكمةٍ على هذه الحياة كيف تنبغي وكيف تكون

في القبر معنى إلغاء الزمان ، فمن يفهم هذا استطاع أن ينتصر على أيامه وأن يُسقِطَ منها أوقات الشر والاثم ، وأن يُميتَ في نفسه خواطر السوء ؛ فمن معاني القبر ينشأ للارادة عقلُها القويُّ الثابت ؛ وكل الأيام المكروهة لا تجد لها مكاناً في زمن هذا العقل كما لا يجد الليل محلاً في ساعات الشمس

ثلاثةُ أرواح لا تصلح روحُ الانسان في الأرض إلا بها :

روحُ الطبيعة في جمالها ، وروحُ المعبد في طهارته ، وروحُ القبر في موعظته ؟

طنطا — مصطفى صادق الرافعي

(١) أي من انسانية الحياة

في الجحيم البلقاني

ألبانيـــا الفتاة

لمناسبة حوادثها الأخيرة

للأستاذ محمد عبد الله عنان

في أوربا دولة إسلامية صغيرة يحدق الخطر اليوم بمصارها؛ ويتطلع الاستعمار الأوربي إلى افتراسها: تلك هي مملكة ألبانيا التي أثارت حوادثها الأخيرة كثيراً من التساؤل والاهتمام، وهي الدولة المسلمة الوحيدة في أوربا، لأن تركيا لم تبق بعد من الوجهة الجغرافية دولة أوربية؛ ومن الأسف أن هذه المملكة الصغيرة تجد نفسها، منذ حصلت على استقلالها قبيل الحرب الكبرى، بسبب ظروفها الجغرافية، هدفاً لأطماع ومنافسات دولية قوية لاتستطيع خلاصاً منها، وترى نفسها مرغمة بحكم ضعفها وعزلتها إلى التماس العون والحماية من أولئك الذين يتطلعون إلى افتراسها

كانت ألبانيا قبل الحرب ولاية تركية. ولكن هذه الأمة الصغيرة الباسلة تناضل في سبيل استقلالها منذ بداية القرن التاسع عشر؛ وقد استطاعت فعلاً أن تحصل على نوع من الاستقلال في عهد زعيمها علي باشا اليانيني في أوائل هذا القرن، فلما انهار سلطان هذا الزعيم الذي تملأ حياته وسيره المروعة كثيراً من صحف القصص الغربي، انهارت جهود ألبانيا في الاستقلال، وعادت تركيا فمكنت منها نيرها وسيادتها. ولما نشبت الحرب بين تركيا والدول البلقانية في سنة ١٩١٢، كان من نتائجها استقلال ألبانيا، قضت به معاهدة لندن التي عقدت بين الدول في مايو سنة ١٩١٣، واتفقت الدول على اختيار حاكم للدولة الجديدة المستقلة، ووقع اختيارها على البرنس دي ڤيد الألماني. وفي أوائل سنة ١٩١٤ قدم البرنس دي ڤيد إلى ألبانيا بعد أن زار حكومات الدول الأوربية المختلفة، فاستقبله وفد من الزعماء الألبانيين وعلى رأسهم عميدهم أسعد باشا بطل اشقودرة الذي أعلن استقلال ألبانيا قبل أن تقرره معاهدة لندن، وطلب اليه باسم الشعب الألباني أن يقبل عرش ألبانيا، فلبى البرنس الدعوة ولقب «بأمبرت» ألبانيا وهو تصغير للقب الامبراطور، وتولى أسعد باشا في الحكومة الجديدة وزارتي الداخلية والحربية، ولكن الخلاف لم يلبث أن دب بينه وبين البرنس، واضطربت شئون ألبانيا، وتفاقمت الصعاب حول الملك الجديد، وأضرم أسعد باشا نار الثورة فأرغم البرنس على مغادرة ألبانيا، لأشهر قلائل من مقدمه، وقبض أسعد باشا على رياسة الحكومة الجديدة (أكتوبر سنة ١٩١٤)، واختارت ألبانيا ملكاً جديداً هو البرنس برهان الدين ابن السلطان عبد الحميد. ولكن البلاد لبثت تتخبط في غمار الاضطراب والفوضى؛ وكانت الحرب الكبرى قد اضطرمت قبل ذلك بقليل، وأخذت دول الحلفاء تتطلع الى ألبانيا كمركز حربي هام، وتخشى أن تغدو قاعدة لحركات ألمانيا والنمسا في المشرق؛ وفي ديسمبر سنة ١٩١٤ بعثت إيطاليا — بايعاز الحلفاء — حملة عسكرية الى ثغر ڤالونا الألباني فاحتلته؛ وعلى أثر ذلك وقعت بين الدول مفاوضات سرية بشأن ألبانيا، ووعد الحلفاء بأن يتركوا ألبانيا غنماً لايطاليا مقابل دخولها في الحرب معهم؛ ووعدت النمسا من جانبها إيطاليا بأن تؤيد احتلالها لثغر ڤالونا وتطلق يدها في ألبانيا إذا هي لزمت الحياد. ولكنها لما رأت تردد إيطاليا دفعت جيوشها الى الجنوب؛ وفي أواخر سنة ١٩١٥ غزت الجنود النمسوية الألمانية ألبانيا واستولت على اشقودرة، ووصلت الى ظاهر تيرانا عاصمة ألبانيا، وغزت الجيوش البلغارية شرق ألبانيا؛ فاضطربت حكومة أسعد باشا الموالية للحلفاء وسقطت؛ واضطرت إيطاليا إلى إخلاء ثغر دورازو ولكنها احتفظت بثغر ڤالونا. ولبث الألمان والنمسويون يحتلون شمال ألبانيا وشرقها لتأمين مواصلاتهم مع تركيا والميادين الشرقية حتى نهاية الحرب الكبرى. ولما انتصر الحلفاء كان من المقرر أولاً أن يعطى القسم الجنوبي من ألبانيا لليونان، ووافقت إيطاليا على ذلك بشرط أن تعترف اليونان بحمايتها على باقي ألبانيا مع التنازل عن سلخة شمالية لصربيا، ولكن هذا التقسيم لم يتم؛ وعادت إيطاليا إلى المطالبة بتنفيذ الوعد الذي

قطع لها بالاستيلاء على ألبانيا . وفى مؤتمر سان ريمو (١٩٢٠) الذى عقد للنظر فى مسألة الانتدابات ، منح الانتداب على ألبانيا لايطاليا ، وأخذت إيطاليا تعمل لاحتلال ألبانيا وبسط سيادتها ؛ ومع أن ألبانيا غدت عضواً فى عصبة الأمم ، فان إيطاليا استطاعت فى أواخر سنة ١٩٢١ أن تحمل بريطانيا العظمى وفرنسا واليابان على إصدار تصريح تعترف فيه « بأن انتهاك الحدود الألبانية أو استقلال ألبانيا يمكن أن يعتبر خطراً على سلامة إيطاليا من الوجهة العسكرية »

على أن البانيا لم تستكن لهذه المحاولات الاستعمارية . والشعب الألبانى شعب باسل رغم كونه يقل عن المليونين عداً (نحو مليون وستمائة ألف ثلثاهم من المسلمين) ، يقدس حريته واستقلاله ، ولهذا عادت البانيا فاضطرمت بحركة وطنية أخرى ؛ وتدخلت السياسة اليوجوسلافية خصيمة السياسة الايطالية لتأييد هذه الحركة التى قادها زعيم فتى هو أحمد زوغو ؛ ولم يمض عامان أو ثلاثة حتى استطاع أحمد زوغو بمعاونة يوجوسلافيا أن ينشىء فى البانيا جمهورية مستقلة ، وان ينتخب رئيساً لهذه الجمهورية (فبراير سنة ١٩٢٥) . ورأى زوغو أنه لا يستطيع المحافظة على سلامة الدولة الجديدة فى بلد وعر قوى المراس قليل الموارد دون معاونة أجنبية ؛ ولما رأت السياسة الايطالية أن يوجوسلافيا تنافسها فى البانيا ، تقربت من أحمد زوغو ؛ وآثر زوغو بعد أن حقق الخطوة الأولى من برنامجه أن يتفاهم مع حكومة رومه ، وانتهى هذا التفاهم بعقد ميثاق تيرانا (نوفمبر سنة ١٩٢٦) ، وهو ميثاق تأييد متبادل وتعاون ودى ، تستطيع الحكومة الايطالية أن تتدخل بمقتضاه فى شئون البانيا ، وتتعهد أن تحافظ على الحالة القائمة فيها فى حدود المعاهدات المعقودة وميثاق عصبة الأمم . وفى العام التالى عقدت البانيا مع إيطاليا معاهدة دفاعية لمدة عشرين سنة ، تتعهد فيها كل منهما بأن تضع تحت تصرف حليفتها كل مواردها العسكرية والمالية وغيرها متى طلبت إليها هذا العون لدرء الخطر عنها

واستطاع أحمد زوغو أن يهدىء الحالة فى البانيا وأن يقبض على ناصية الأمور رغم هـذه الاتفاقات التى تقضى على استقلال البانيا وتجعلها شبه مستعمرة ايطالية . واستغلت إيطاليا هـذه الفرص لتوطيد نفوذها ؛ وعقدت لألبانيا بواسطة عصبة الأمم قرضاً قدره خمسون مليون فرنك ذهباً ، وقامت بانشاء البنك الألبانى الوطنى ، ووظفت أموال إيطالية كثيرة فى المرافق الألبانية ، ومكنت السياسة الفاشستية نفوذها من ألبانيا . واعتمد أحمد زوغو على هذا النفوذ فى تأييد مركزه وسلطانه ؛ وفى سبتمبر سنة ١٩٢٨ أعلن نفسه ملكا على ألبانيا باسم الملك زوغو الأول ، واستطاع أن يوطد مركزه وأن يقضى على كل معارضة ؛ ولكنه شعر فى نفس الوقت أن توغل النفوذ الايطالى فى ألبانيا ، يثير الشعور الوطنى ، وقد ينقلب هذا الشعور ضده ، ورأى من جهة أخرى أنه ليس فى كبير حاجة إلى معاونة إيطاليا بعد ؛ فلم يقبل أن يجدد ميثاق تيرانا الذى انتهى أجله سنة ١٩٣١ ، وبقيت معاهدة سنة ١٩٢٧ هى أساس العلائق بين إيطاليا وألبانيا ؛ ولكنه اضطر أن يعقد اتفاقاً مالياً فى صيف سنة ١٩٣١ ، تتعهد إيطاليا بمقتضاه أن تقدم لألبانيا بشروط معينة قرضاً قدره مائة مليون فرنك ذهباً بلا فائدة ، وتؤدى منها إليها كل عام عشرة ملايين

واهتمام السياسة الايطالية بالبانيا وتمكين نفوذها منها يرجع إلى عوامل جغرافية وعسكرية خطيرة ، فالبانيا تقع فى مواجهة إيطاليا الجنوبية على الضفة اليمنى من بحر الادرياتيك ، وليس بين ثغر بارى الايطالى وبين ثغر دورازو الألبانى أكثر من بضع ساعات ، ولا يفصل برنديزى وفالونا أكثر من مائة كيلو متر ؛ ثم إن شواطئ ألبانيا تصلح بطبيعتها قواعد ومرافىء حصينة للأسطول الايطالى ، على حين أن الشواطىء الايطالية المواجهة ليست لها هـذه الخاصة . ولألبانيا وقت السلم جيش نظامى يبلغ تسعة آلاف ، ويمكن وقت الحرب أن يغدو مائة ألف ، وهو مدرب على الأساليب الايطالية بحيث يغدو وقت الحرب بالنسبة لايطاليا عوناً لايستهان به . ومن جهة أخرى فان وقوع ألبانيا فى جنوب يوجوسلافيا خصيمة إيطاليا ومنافستها القوية يجعلها إذا نشبت حرب بين الدولتين قنطرة سهلة للوصول إلى إيطاليا وتهديد شواطئها وثغورها الجنوبية بسرعة ؛ وإيطاليا تحسب

لهذا الخطر حسابه ، خصوصاً بعد تحسن العلائق بين ألبانيا ويوجوسلافيا فى الآونة الأخيرة .

* * *

ولنحاول الآن أن نستعرض موقف ألبانيا الحاضر بعد الذى أذاعته الأنباء الأخيرة عن وقوع اضطرابات خطيرة فيها يوشك أن تتمخض عن انقلاب سياسى جديد . والظاهر أن هنالك مبالغة فى هذه الأنباء قصدت إليها بعض المصادر التى تعمل على تشويه سمعة ألبانيا ولا سيما المصادر اليونانية نظراً لعدم رضى اليونان عن معاملة الأقلية اليونانية فى ألبانيا ؛ وهذه الأقلية يسكن معظمها فى القسم الذى ضم إلى ألبانيا من مقاطعة ابيروس وهى مثار الخلاف بين البلدين . وتنفى المصادر الألبانية الرسمية هذه الأنباء ، وتقول إن ما حدث كله يتلخص فى أن زعيما ناقما يدعى محرم بجرا كطارى قاوم السلطات فى أوليشت حينما أرادت أن تقبض لديه على بعض المجرمين الفارين الذين آواهم ، وإن السلطات استطاعت أخيراً أن تقمع حركاته وأنه اضطر إلى الفرار مع بعض أنصاره إلى ما وراء الحدود اليوجوسلافية ؛ بيد أنه إذا لم تك ثمة ثورة عامة فى ألبانيا ، أو كانت ثمة محاولة إلى الثورة سحقت قبل استفحالها ، فانه لا ريب أن شئون ألبانيا ليست على ما يرام ، وأنها تجوز فترة من الاضطراب والقلق . فمنذ نحو عامين تضطرم الكتلة المعارضة لأحمد زوغو بنزعة قوية إلى الثورة وإلى إلغاء الملوكية ، وإعادة النظام الجمهورى بعيداً عن الوصاية الأجنبية ، وقد أسفرت هذه الحركة منذ نحو عام عن محاولة اتهم فيها عدة كبيرة من الشباب المتعلم بالتآمر على سلامة الدولة . ومن جهة أخرى فقد رأت إيطاليا أنها لم تحقق كل ما أرادت من تدخلها فى الشئون الألبانية وقررت أن تقطع الاعانة المالية السنوية عن الملك زوغو حتى تجاب إلى مطالبها فى السيطرة على التجارة الألبانية ، وافتتاح المدارس الايطالية المغلقة ، وتعيين مستشارين إيطاليين فى الادارات الألبانية ، وتعيين ضباط إيطاليين لتدريب الجيش الألبانى وغيرها ؛ وهذه مطالب لم يقبلها أحمد زوغو وحكومته . وقد أحدث قطع الاعانة المالية ارتباكاً خطيراً فى الحكومة الألبانية ، واضطربت المرافق والمشاريع العامة ، ونضبت موارد القصر والادارات الحكومية ، وساد روح من القلق والتذمر حول الملك زوغو وحكومته ، وتحركت المعارضة لتحاول فرصتها ؛ والظاهر أن الحركة الأخيرة كانت أثراً من آثار هذا الارتباك العام ، وأنها ليست إلا بداية قد تعقبها محاولات أخرى إذا لم تتح للملك زوغو وعصبته فرصة لتوطيد مركزهم بالتفاهم مع إيطاليا وتلقى معونتها أو آية معونة خارجية أخرى

والحقيقة أن تلك الدولة الصغيرة المسلمة تجد نفسها فى مركز محزن ؛ فهى لا تستطيع أن تعيش مستقلة بنفسها ، ولا تستطيع رغم بسالتها أن تذود عن هذا الاستقلال الذى تجاهد فى سبيله ، وهى مطمح أنظار دولتين قويتين خصيمتين ، وليس فى مقدورها أن تفلت من نتائج هذا التجاذب السياسى الذى تتعرض له بموقعها الجغرافى وظروفها العسكرية ، وإذا فلا بد لها أن تختار الخضوع لأحد النفوذين : النفوذ الايطالى ، أو النفوذ اليوجوسلافى ، وقد استظل أحمد زوغو بنفوذ يوجوسلافيا حتى تمكن من إنشاء ألبانيا الجديدة ومن التربع على عرشها ؛ ثم استظل بعد ذلك بالنفوذ الايطالى ليوطد دولته الجديدة ، وها هو اليوم يتبرم بذلك النفوذ ويحاول خلاصاً منه . فهل يكون ذلك نذير العود إلى سياسة التفاهم مع يوجوسلافيا ؟ إن إيطاليا ترى فى ألبانيا غنماً تحرص عليه كل الحرص وتعمل بكل الوسائل لكى تستأثر به ، وترى فيها مجازاً للتوسع فى المشرق ؛ والسياسة الفاشستية تنشط اليوم إلى التوسع والاستعمار حيثما استطاعت ؛ ومن المحقق أنها ستنازع يوجوسلافيا أية محاولة تقوم بها فى ألبانيا ، لأنها ترى فى مثل تلك المحاولة اعتداء على سلامتها

وعلى أى حال فان مصير ألبانيا غامض كل الغموض . وخير ما يمكن أن تفوز به هذه الأمة الصغيرة الباسلة هو أن تعيش كدولة « فاصلة » فى ظل نوع من الاستقلال ، وأن تعمل للانتفاع بهذا التجاذب السياسى الذى تتراوح بين شقيه بذكاء واعتدال . وشر ما يمكن أن يصيب ألبانيا هو أن تتفق الدولتان المتنافستان على اقتسامها بين سمع أوربا المتمدنة وبصرها ، وتحقق كل بذلك أطماعها ، وتذهب الأمة الباسلة ، كما ذهبت كثيرات غيرها ، ضحية الاستعمار الغربى

محمد عبد الله عنان
المحامى

الســـيارة الملعونة !

للأستاذ ابراهيم عبد القادر المازنى

كان لى — فى وقت من الأوقات — سيارة من طراز لا أعينه « تَسَعُ السَّبعةَ الأقاليم طرّا » ولم تكن بى حاجة الى كل هذه السعة ، فانى ، كما يقول ابن الرومى :

أنا من خف واستدق ، فما يُثقل أرضاً ، ولا يسدّ فضاءَ

وكنتُ إذا اتخذتُ مجلسى فيها لا أملأ إلا إصبعين منها ، وكانت زنتها نحو طنين ، أو بضعة قناطير ، وأدع للقارىء حساب ذلك ، فمالى قِبَلٌ بالحساب أو صبرٌ عليه ؛ وما حاجة مثلى الى الحساب والبراعة فيه وكل أشيائى تعد بالآحاد ، فان كثرت جداً فبالعشرات ؟؟ فأنا أكسب المال قرشاً قرشاً ، وأنفق ما أكسب حتى قبل أن يصير فى كفى ، فما يستقر منه فى جيبى شىء ، فكأنى ساعى بريد ، لغـــيره لا له مايتعب فى حمله ويحفى قدميه وهو يدور به على البيوت ! وما رأيت فى حياتى ورقة بمائة جنيه ! وللبنك الأهلى غرف منحدرة فى الأرض ، ولها نوافذ عليها شُبّاك من السلك المنسوج ، وحديد متعارض ، فهى تؤدّى الضوء ولا تنفذ منها اليدُ مع الأسف ! وفى هذه الغرف تجلس فتيات الى مكاتب صغيرة عليها حزم مكدســة من أوراق النقد المختلفة يختمنها بختم المدير أو لا أدرى ماذا يطبعن عليها ، وكثيراً ما أقف بهذه النوافذ وأنظر الى الفتيات ، أو على الأصح الى الأوراق — أعنى الى الثروات — التى فى أيديهن ، فأتنهد وأتحسر ! وماذا تخسر الدنيا — أوالبنك فانه هوالدنيا فى تلك الساعات — إذا انتقلت الى يدى بقدرة ربك — أو بعطف إحدى الفتيات — حزمة واحدة من هذه الأوراق الكبيرة ؟ ؟ أيفلس البنك ؟ كلا ! أيقل الورق المتداول ؟ كلا أيضاً ! فانى بارع فى إتلاف المال ، فاذا صار فى يدى كثر التداول ولم ينقص ، ولقد فتنني منظر الورق مرة فطال وقوفى ونفد صبرى ، وخرج الرشد من أصابع كفى ، فصحت بالفتاة الجميلة : « هش . . . . هش . . . ! »

فرفعت رأسها الى النافذة ونظرت ثم ابتسمت وعادت الى ما بين يديها

فعدت أصيح بها : « هش . . . . هش . . . . ! »

فصعّدت عينيها مرة أخرى فأسرعت أقول : « يابنت الحلال ! إن مُني النفس جميعاً فى حزمة من هذه الحزم الكثيرة — وفيك أيضاً لو تجودين ! — فهلا أعطيتنى مما أعطاك الله ؟ »

ولا أدرى ماذا كان جوابها ، فقد شعرت بيد غليظة على كتفى ، فالتفت ، فاذا شرطى ضخم ، فقلت لأطمئنه : « منظر جميل جداً ، إن البنات يعملن بسرعة عجيبة . وأقول لك الحق ، إنهن جميلات ! من أين ياترى يجمعهم ؟ ألا تعرف ؟ لشد ما أتمنى أن يكون عندى ولو عشرين حزمة — أعنى بنتاً — من أمثالهن ! »

فضحك ، وسرنى ضحكه جداً ، فحييته بأدب جم ولطف كثير ، وتواضع جميل ، وقلت وأنا أودعه :

« اجعل بالك الى . . . . اليهن ، لاتدعهن يغبن عن عينك ! فان لى فيهن والله لمآرب ! إيه ما أحلى أيديهن الرخصة البضة ! ليتنى أستطيع أن أضع كفى على كف واحدة منهن ! ألا تتمنى ذلك يا صاحبى ؟ متع عينك بالنظر يا أخى ! متعها ، متعها ! وهل أقل من النظر ؟ »

* * *

ولكن سيارتى ، تلك على جمالها وضخامتها وسعتها ، أرتنى النجوم فى الظهر الأحمر ، ذلك أنها كانت تستنفد من البنزين والزيت كل ماهو معروض فى دكاكينهما على طريقها ، ثم لا تشبع ، حتى لقد فكرت فى أن أصل خزانها بآبار الموصل ! وكثيراً ما هممت بأن أغالطها وأدور من وراء خديعتها ، وأملأ لها خزانها ماء بدلاً من البنزين ، وأنا أقول لنفسى : « ومن أدراها أن هذا ماء لابنزين ؟ » ثم إن خزان الماء كان يغلى كالمرجل بعد دقائق قليلة من السير ، فتبدو لى علامة الخطر الحمراء ، فأقف وأغير لها الماء ، ثم أستأنف السير ، وهكذا ، وهذا فى الشتاء فكيف بها فى الصيف ؟ ولهذا صرت أشترى الثلج ، وأفتته ، وأحشو به خزانها بدلاً من الماء ، ولا أركبها إلا ومعى ذخيرة كافية من ألواح الثلج على المقاعد الخلفية

ولو اقتصر الأمر على هذا لهان الخطب ، ولأمكن احتمال المصاب ، ولكن محاور العجلتين الخلفيتين كانت مبريةَ المساليط

والأسنان التى تنشب فى العجلة وتعلق بها فلا تدعها تفلت ، ولم أكن أعلم هـذا ؟ وأنى لى أن أعرفه وهو شىء محجوب لا يبدو لعين الناظر ؟ وكان فسـد هذه الأسنان لا يُحدث أثره إلا وأنا فى أرض خلاء ، لا أنيس فيها ولا ديار بها ، فأكون سائراً مغتبطاً راضى النفس ، منشرح الصـدر ، وفى يمينى سيجارة أنعم بتدخينها ، وفى عينى ابتسامة عذبة ، وعلى لسانى — أو شفتى ، لا أدرى — ألحان أغنية جميلة ، وأكون قد خرجتُ من العمران ، وأطلقت لها العنانَ لتنهب فضاء الصحراء — حيث كنت أسكن — وإذا بصوت يقول « كر كر كر كر كر كر . . . » وإذا باحدى العجلتين الخلفيتين قد خرجت من محورها وذهبت تجرى وحدها فى الطريق وإذا أنا مائلٌ على جنبى ! فلولا حضور ذهنى ، وسرعة خاطرى ، وثبات جنانى ، لانقلبت بى السيارة ، ولانتقل المازنى — بعـد أن يجدوه — إلى رحمة الله ، أو على الأقل إلى المستشفى !

وأفتح الباب ، وأترجل ، وأدور بها لأنظر ماذا حدث ، ثم أقول :

« شىء جميـل ! ولـكن هل كان من الضرورى جـداً أن تصنعى هذا هنا على الخصوص ؟ ألم يكن من الممكن أن يحدث هذا فى شارع محمد على ، أو القلعة ، أو غيرها ، حيث الناس يروحون ويجيئون بلا انقطاع ؟ أو أمام البيت على الأقل ؟ سبحان الله العظيم ! ما هذه الطباع الصبيانية ؟ ! »

وأذهب أبحث عن العجلة الطائرة ، ثم أدحرجها عائداً بها ، وأخلع المعطف والسترة ، وأرفع الأكمام ، وألبس ثوب « العمل » الأزرق ، فقد احتجت إليه فحرصت عليه ، وأخرج الآلة الرافعة ، وعلبة الرزّات(١) ، وأحمـد الله على أن المحور سليم لم ينكسر ، وأرد العجلة الى مكانها ، ثم أتوكل على الله وأستأنف السير .

ولـكن ما كل مرة تسلم الجرة ، فكنت كلما ازددتُ احتياطاً لهذه المفاجآت ، زادتنى هى افتناناً فى الحيل والمكر السىء ، وقد اضطررت أن أتخذ لى خادماً يصحبنى فى السيارة ليعيننى على بلائها ، فحدث مرة وأنا عائد الى البيت ، وكان الوقت منتصف الليل ، أن كركرت العجلة — على عادتها — وطارت فى ميدان الأوبرا . فوقفت فى وسط الميدان ، وأمرت الخادم أن يصلح ما فسد ، ورحت أنا أتمشى على الافريز وأدخن سيجارة حتى يفرغ من هذا الأمر ، فجاءنى يقول ان المحور قد انكسر !

قلت : « هممم ! شىء جميل ! خبر سار جداً . الثلج حملناه ، والبنزين هذه ذخيرته وراءنا كأنا على سفر الى القطب الشمالى . فلم يبق إلا أن نحمل معنا دكاناً كاملاً من أدوات السيارات والقطع اللازمة لها ! لا بأس ! غداً إن شاء الله نفعل ذلك . أما الليلة فعليك ياصاحبى أن تدخل فى السيارة وتغلقها عليك — أبوابها ونوافذها فان البرد شديد — وتحضن العجلة المتمردة وتنام الى الصباح ، وإنه ليؤسفنى أن لا أنيس لك فى هذا الميدان الموحش سوى تمثال إبراهيم باشا ، ولـكنه كان بطلاً ، فاحلم بوقائعه الى الصباح . . . عم مساء والى الملتقى ! »

* * *

وأقسمت لأبيعنها ، فما بقى لى على ألا عيبها صبر ، ومضيتُ بها — بعـد إصلاح محورها — إلى الدكان الذى اشتريتها من صاحبه ، وقلت له « بعها بأى ثمن ! فما يعنينى إلا أن أتخلص منها »

وكان بينى وبينه ود ، فسألنى « هل تبيعها بنصف ثمنها ؟ »

قلت : « وبثلثه — بل بربعه ! »

قال : لا لا . حرام . انها سيارة فخمة ! ولو عرضتها بهذا الثمن الزهيد لظن الناس الظنون ، ولتوهموا أن فيها عيباً لا يداوى ؛ وأخلق بهم حينئذ أن ينصرفوا عنهـا ويزهدوا فيها » فسألته « بكم تنوى إذن أن تعرضها ؟ »

قال : « بمـائة جنيه . »

فصحت « يا خبر اسود ! بمـائة ؟ إن هذه سرقة ! »

قال : « لا تكن أبله . . . . مالك أنت ؟ »

وبقيتْ عنـده أسابيع ، لا يشتريها أحد ، فمررتُ به يوما فألفيته خارجاً ، فرجانى أن أنتظره حتى يعود . . . دقائق لا أكثر . . . وأخبرنى أن سيدة ستحضر ، فاذا جاءت قبله ، فعلىّ أن أستقبلها وأحييها حتى يرجع

وذهب . وجاءت السيدة ، فلم يسعنى إلا أن أنهض لاستقبالها ، لا لأن صاحب الدكان كلفنى ذلك ، بل لأنها كانت أجمل من أن يستطيع امرؤ أن يجرؤ على إهمالها ، فقالت :

« هل أنت المسيو . . . . ؟ »

(١) الرزة حديدة تدخل فى القفل أو نحوه ، وقـد استعملتها هنا لما يسمونه « التيلة »

قلت : « ليتني كنته ! إذن لربحت في العام ثلاثة آلاف من الجنيهات ! كلا ! لقد خرج -وسيعود بعد قليل جداً ... تفضلي ! »

فأجالت عينها حتى وقعت على سيارتي فقالت

« هل هذه معروضة للبيع ؟ »

قلت « أظن ذلك ! أعني نعم ! »

قالت « إنها جميلة .. ضخمة .. فخمة ... (وفتحت بابها) وثيرة المقاعد .. بديعة .. كم ثمنها ؟ »

فتنحنحت وقلت « إ ... أ ... ثمنها ! إ ... مائة جنيه ! »

قالت « ثمن معقول ... ليست بغالية »

قلت « ولـكنها لا تصلح لك .. أعني أن عيوبها فظيعة ! »

قالت « عيوبها ؟ إنه لا عيب فيها ! »

قلت « الماء يغلي بعد دقائق »

قالت « طبيعي ... »

قلت « تحرق وقوداً كثيراً .. تحتاج إلى جالون من البنزين كل أربعة أمتار »

قالت « لا تبالغ ... إنها كبيرة ضخمة ، فمن المعقول أن تحتاج إلى وقود كثير »

قلت « والعجل يطير أثناء السير »

قالت « أوه ! ما هـذا الأسراف في الطعن ؟ هل أستطيع أن أجربها ؟ »

فخرجت بها ، ودرنا بها دورات ، ولم أرحمها — أعني السيارة — لأبرز لها — أعني للسيدة — عيوبها — أعني السيارة هذه المرة — فما كان في السيدة هنة ، ولـكنها كانت كأنها مسحورة ، فلا البنزين القليل الذي وضعته فيها نفد ، ولا المـاء غلا ، ولا العجلة طارت

وقالت السيدة « أترى كيف كنت تبـالغ ؟ إن ماءها بارد كالثلج ! ولا يزال أكثر البنزين باقيـاً ، والعجلة في مكانها ثابتة . لو كان كل تاجر يصد الزبائن كما تفعل ، لخرب ! »

فلم تبق لي حيـــلة ، وجاء صاحب المحل فتمت الصفقة ، وحسب لي نصيبي من الثمن ، مقدمة لثمن سيارة أخرى ...

ولا أدري ماذا كان من أمر السيارة مع هذه السيدة المسكينة ولـكنه لا ذنب لي ، فقد حذرتها وأنذرتها ، وأبرأت ذمتي

ابراهيم عبد القادر المازني

حجر بهشـــتون

مفتاح الكتابة المسمارية

بقلم الأستاذ كوركيس حنا عواد

١ — تمهيد

لئن كان حجر رشيد وثيقة تاريخية خطيرة الشأن أدّت إلى فكّ رموز الـكتابة الهيرغليفية [(١)] ، وفتحت ما استغلق من المدنية المصرية القـديمة وأوضحت ما أشكل فيها ، فان حجر بهشتون يعتبر ولا مراء وثيقـة هامة جداً موازية لرفيقتها في المـكانة ، لـكونها أدّت إلى فك رموز الـكتابة المسمارية ، وأنارت السبيل أمام العلماء والباحثين للتطلع إلى الماضي البعيد والتعرّف بالمدنيات الأشورية والبابلية . . .

على الطريق الرئيسية الموصلة بين بغداد وطهران ، يقع هذا الأثر المدهش الذي هو من أعظم الآثار التاريخية في آسيا . ويبعد عن همدان [(٢)] بمسافة ٦٥ ميلاً ، وعن كرمنشاه باثنين وعشرين ميلاً

وعُرف هذا الصخر قديماً باسم جبل باغستان البالغ ارتفاعه ٣٨٠٠ قدم . وقد أُطلقت هذه التسمية على هذا الأثر نظراً لوجود تلك القرية الصغيرة المسماة بهشتون عند أسفل الصخر ، وأصبحت هذه التسمية هي المتعارفة بين علماء الآثار والتاريخ من الأجانب .

وكان السر هنري رولنصن Sir H. Rawlinson قد استعار هذه التسمية من ياقوت الحموي الذي أتى في معجمه الجغرافي على ذكر هذه القرية وينبوعها فقال : « . . . قرية بين همذان وحُلوان . . . وجبل بهستون عال مرتفع ممتنع لا يرتقى إلى ذُروته . . . ووجهه من أعلاه إلى أسفله أملس كأنه منحوت ، ومقدار قامات كثيرة من الأرض قد نحت وجهه ومُلّس ، فزعم بعض الناس أن بعض الأكاسرة أراد أن يتخذ حول هذا الجبل

(١) أنظر بحث الأستاذ عبد الفتاح الزيادي : حجر رشـيد والقلم الهيرغليفي ، (الرسالة ٢ : ٤١١ — ٤١٤)

(٢) همدان مبنية فوق بقايا المدينة التي كان يسميها الفرس « حاكماتانا » ومعناها « ملتقى الطرق الـكثيرة » . أما اليونانيون فقد دعوها « اكبتانا » وسيرد ذكرها في هذا البحث

موضع سوق ليدلّ به على عزته وسلطانه ، وعلى ظهر الجبـل بقرب الطريق مكان يشبه الغار وفيه عين ماء جار . . . » (١)

ولم يكن ياقوت أول من استعمل هذه التسمية فى معجمه ، بل سبقه إلى ذلك ديودورس الصقلى المؤرخ (٢) كما سيجىء ذكره

٢ — وصف الصخر والينبوع المقدس :

إن لواجهة هـذا الصخر وضعاً عجيباً من حيث البروز والانتصاب ، فكان ليد الانسان نصيب وافر فى تهذيبها وصقلها وجعلها واقفة الانحدار كالجدار القائم ، فبات النحت والكتابة عليها أمراً ميسوراً . وفى أسفل هذه الواجهة ينبوع ذو ماء نقى جداً . فهنا كانت القوافل منذ الأزمان الغابرة تلقى عصا الترحال لتستريح من وعثاء السفر ، وتروى غلتها من هذا المنهل العذب ؛ كما أن معظم الجيوش التى سارت من أرض الفرس إلى شمالى بابل قد شربت من هذا الينبوع الشهير . ولقد اكتسب هذا الموقع مسحة تقديسية ، كما يقول ديودوروس (٣) ، لوجوده عند هذا النبع المتفجر

إن لهذا الصخر مزايا ، منها اعتباره موقعاً مقدساً ، فضلاً عن شموخه وانتصابه ، ووقوعه على طريق رئيسية من طرق العالم القديم ، ووجود المياه عند سفحه . . فكل هذه أسباب وجيهة ودواع مهمة أهابت بداريوش الكبير (٥٢١ ـ ٤٨٥ ق . م .) إلى أن يختار هذه الواجهة الجبلية القائمة ليجعل منها سجلاً خالداً على كر العصور ، فنحت عليها الصور والكتابات الكثيرة التى كان يرمى من وراء صنعها إذاعة فتوحاته وانتصاراته على جميع الشعوب المعروفة وقتئذ

٣ — المنحوتات :

تمثل هذه المنحوتات الملكَ داريوش ، وبمعيته اثنان من قواده يحمل أحدهما قوساً والآخر رمحاً . والملك هنا واقف يتقبل شعائر الخضوع والأذعان من قادة العصاة ورؤسائهم المتمردين الذين ثاروا فى وجهه خلال السنين الأولى من حكمه ، وعصوا أوامره فى أنحاء شتى من امبراطوريته المترامية الأطراف . وقد داس الملك برجله اليسرى جسمَ رجل مطروح على ظهره ، رافع كلتا يديه مستعطفاً ومستغفراً . . وأمسك داريوش بيده اليسرى قوساً ، أما يده اليمنى فقد رفعها متجهاً بها نحو الآله (أورامزدا) Auramazda الذى يظهر فى وسط أشعة من الأنوار والبروق ؛ وانتصب أمام الملك تسعة من هؤلاء القواد والرؤساء الذين شقوا عليه عصا الطاعة ، وقد شُدوا من أعناقهم بعضهم إلى بعض بحبل واحد ، وشُدّ وثاق أيديهم وراء ظهورهم

ويبلغ طول واجهة المنحوتات نحو ١٠ أقدام وعرضها ١٨ قدماً ؛ أما ارتفاع شكل داريوش فخمس أقدام وثمانى عقد ، وارتفاع كل من تابعيه أربع أقدام وعشر عقد ، وارتفاع كل سجين ثلاث أقدام وعشر عقد ؛ أما ارتفاع اورامزدا من أعلى رأسه إلى منتهى أشعته فثلاث أقدام وتسع عقد ، ومنتهى عرضه أربع أقدام وعقدتان

٤ — النصوص :

وتحت لوحة المنحوتات كتابة عظيمة تتشكل من خمسة أعمدة (حقول) متجاورة ، يبلغ ارتفاع كل منها نحو ١٢ قدماً بعرض ٦ أقدام ؛ أما عدد أسطرها فتشتمل على الترتيب ٩٦ + ٩٨ + ٩٢ + ٩٢ + ٣٦ والمجموع ٤١٤ سطراً . وهى باللغة الفارســية القديمة ، لكنها مكتوبة بالأحرف المسمارية الجديدة المتألفة من ٣٩ حرفاً ، والتى ابتكرها الفرس . وقد دُوِّنَ على هـذه الأعمدة نسب داريوش وغزواته وانتصاراته على جميع أعدائه وإخماده الثورات المتعددة التى أعقبت تتويجه ، واقتحامه شعوباً متعددة ، وغيرها من الأعمال التى قام بها خلال حكمه

وعن يسار الكتابة الفارسـية ثلاثة أعمدة أخرى وضعت باللغـة السوسيانية (١) وكُتبت بالأحرف المسمارية السوسيانية (العيلامية) ، وهى تشتمل على ترجمة الأعمدة الأربعة الأولى من النص الفارسي . وعدد أسطرها هو على الترتيب ٨١ +

(١) معجم البلدان ، طبعة وستنفلد (١ : ٧٦٩) ، وطبعة مصر (٢ : ٣١٥) .

(٢) Diodorus Siculus, ed. Müller, Lib. II., Cap. XIII.

(٣) Lib. II., Cap. III

(١) أشهر مدينة فى سوسيانا كانت شوشن أو شوشان ، المعروفة عند اليونانيين باسم سوسا وفى التوراة باسم شوشن القصر

٨٥ + ٩٤ + ٣ (ملحق) والمجموع ٢٦٣ سطراً . وتتراوح أبعادها ما بين ١٠ ـ ١١ قدماً طولاً و ٧ أقدام عرضاً

وهناك عن يسار المنحوتات واجهتان أخريان من الصخر عليهما كتابة باللغة البابلية ، وكُتبت بالأحرف المسمارية البابلية المتألفة من بضع مئات . . . وتبلغ أسطرها معاً نحو ١١٢ ، ويتراوح ارتفاعهما بين ١٠ ـ ١٤ قدماً ؛ أما عرضهما معاً فبين ١١ ـ ١٥ قدماً

ويوجد عن يمين المنحوتات أربعة أعمدة تكميلية بالخط المسمارى ، وربما تتعلق هذه الأعمدة التكميلية بالحوادث المسرودة على العمود الخامس من النص الفارسى . إلا أن العوامل الجوية قد أثرت فى هذه التكملة تأثيراً سيئاً ، فأصابها ألوان من الخدش والمحو ، حتى أن أمر قراءتها أصبح متعذراً فى الوقت الحاضر ، إلا بعض كلمات من العمود الأول المكتوب باللغة السوسيانية . أما عدد أسطر هذا القسم فقد ضاعت معالمه ولم يعد فى وسعنا معرفتها بالضبط . فمجموع الكتابات المقروءة إذاً تبلغ ٨٠٠ سطر تقريباً

وقد كُتب على لوحة المنحوتات فقرات صغيرة تبين أسماء أولئك المتمردين التسعة ، ويبلغ مجموع هذه الفقرات ٣٢ فقرة ، منها ١١ بالفارسية و ١٢ بالسوسيانية و ٩ بالبابلية

٥ ــ بهشتون فى نظر الأقدمين :

إن أقدم مصدر تاريخى نقع فيه على ذكر حجر بهشتون هو تاريخ ديودورس الصقلى ، الذى نشأ فى القرن الأول الميلادى فذهب إلى أن هذه المنحوتات قد أحدثتها « الملكة سميراميس » لتكون على طريقها ما بين بابل وأكبتانا . وحسبما يرتأى هذا المؤرخ ، أن هذه الملكة العظيمة قد ضربت معسكرها عند الينبوع الواقع فى أسفل الصخر ، وقد غرست بستاناً هناك . . . أما وصفه للمنحوتات فليس بمضبوط ، إذ زعم أن الشكل الذى لداريوش إنما هو لسميراميس ، وذهب إلى أن الأثنى عشر رجلاً المحيطين بالملك إنما هم مائة من حَمَلة الرماح ، شخصوا حول ملكتهم ! ! . . .

أما الكتابة فيقول إنها « بالأحرف السريانية » . ثم قال بأن سميراميس قد تمكنت أن تصعد إلى أعلى الصخر بتكديس أحمال وسروج حيواناتها شيئاً فوق شىء (١) . إلا أن هذه الآراء بعيدة كل البعد عن الحقيقة وعارية عن الصحة ككل ما يُنسب إلى هذه الملكة الوهمية . وذكر ديودورس فى موضع آخر من كتابه أن الاسكندر الكبير زار هذا الصخر لدى سيره من سوسا إلى أكبتانا (٢)

ولقد عرف كثير من جغرافيى العرب كابن حوقل (٣) والأصطخرى (٤) (فى القرن العاشر الميلادى) وياقوت (فى القرن الثالث عشر) هذه المنحوتات والكتابات فى بهشتون ، ولكن أحداً منهم لم يهتم بأمر الكتابات اهتمامه بالمنحوتات ، كما يظهر لنا مما أوردوه عنها ، هذا فضلاً عن أنهم لم يذكروا نوع الحروف التى كتبت بها

٦ ــ بهشتون فى نظر السياح الأوربيين القدماء :

من أقدم السياح الأوربيين الذين زاروا بهشتون فى العصور المتأخرة أمبرجيو بمبو Ambrogio Bembo (١٦٥٢ ــ ١٧٠٥) وهو تاجر إيطالى من أهالى البندقية رحل الى بلاد الفرس خلال الربع الأخير من القرن السابع عشر ، وأعطانا ــ بالنسبة إلى حالة زمنه ــ وصفاً دقيقاً لهذه المنحوتات (٥)

وبعد ستين سنة تابعه فى هذا المضمار المستشرق السويدى أوتر Jean Otter (١٧٠٧ ــ ١٧٤٨) الذى ساح فى بلاد الفرس وفحص المنحوتات ، ولكن ملاحظاته عنها قليلة الخطر ، وقد اعتبر شكل الآله أورامزدا « نذيراً للخير » (٦)

وبعد انقضاء ستين سنة أخرى زار أولفيير G. A. Olivier (١٧٥٦ ــ ١٨١٤) العالم الطبيعى الفرنسى بلاد الفرس ، وفحص المنحوتات فى بهشتون ، ورسم لها صورة طبعها بعد ذلك فى كتاب رحلته (٧) . أما هذه الصورة فخاطئة جداً ، لأنها تمثل داريوش جالساً على عرش ، ورجلاه مستندتان على كرسى صغير ؛ كما أن استنساخه لبقية أشكال المنحوتات ليس بمضبوط ألبتة

(١) Diodorus, Lib. II., Cap, XIII, Bd. I., P. 90

(٢) Diodorus, Lib. II., Cap. CX., Bd. II., P. 207

(٣) المسالك والممالك (طبعة دى غوية ، ص ١٩٣)

(٤) مسالك الممالك (طبعة دى غوية ، ص ٢٦٥ ، ٢٦٦)

(٥) Morelli : Dissertazione (P. 46 ff., Venice, 1803.)

(٦) Voyage en Turquie et en Perse (Vol. I, P. 187, Paris, 1748.)

(٧) Voyage dans l'Empire Othomane, etc., (III., P. 24.)

ومن الغريب أننا نجد هوك Hoeck [١] فى كتابه : Veteris Mediae et Persiae Monumenta (Gottingen 1818) يطرح جانباً أحاديث (بجبو) وآراءه التى يُركن إليها ويوثق بصحتها إلى درجة غير قليلة ، ويعوّل بالدرجة الرئيسية على ما أتى به أولقيير من المعلومات التى لا تتفق مع الحقيقة دائماً

– ايضاحات وتعليلات وهمية للمنحوتات :

وكان الصخر قد وصفه ثانية جاردان A. L. de Gardanne (١٧٦٥ — ١٨٢٢) الذى افترض أن اورامزدا وأشعته النورية إنما هو صليب ، وزعم أن الأشكال التى تحته تمثل الاثنى عشر رسولاً ! . . . [٢]

وبعد مضى سنين قلائل ، قام كينير Sir J. M. Kinneir (١٧٨٢ — ١٨٣٠) بعدة رحلات فى بلاد الفرس ، وكان أول من ذهب الى أن المنحوتات فى بهشتون تعود الى نفس العصر الذى نشأت فيه آثار برسبوليس [٣]

وقد شاركه فى هذا الرأى كبل G. T. Keppel (١٧٩٩–١٨٩١) الذى أسهب فى وصف هذه المنحوتات فى كتاب رحلته [٤]

وفى عام ١٨٢٢ طبع بورتر Sir Robert Ker Porter أبحاثاً قيمة عن رحلاته التى قام بها فى جورجيا وفارس وأرمينيا وبابل خلال ١٨١٧ — ١٨٢٠ ، واليه نحن مدينون بوصف مسهب لمنحوتات بهشتون . وفى هذا الكتاب رسم للمنحوتات يصح أن يُعتبر أحسن ما رُسم لهذا الأثر حتى صدور الكتاب . وقد لاحظ عموماً قدم هذه المنحوتات الغابرة ، ولكنه لم يفهم مآلها [٥] ، فقد ذهب الى أن هذه المنحوتات البارزة الشهيرة إنما عملها شلمناصر « ملك أشور وميديا » ليخلد بها اكتساحه لبنى اسرائيل . وزعم أن الأسرى الواقفين أمام داريوش إنما هم من الأسباط العشرة ، واعتبر أن شكل داريوش لشلمناصر ، الى غير

(١) للاطلاع على آراء السياح الأقدمين الآخرين بجانب الذين ذكروا مع هوك يراجع : De Sacy : Mémoires sur diverses Antiquités de la Perse (Paris, 1793, P. 217 ff.)

(٢) Journal d'un Voyage. (Paris, 1809, P. 83.)

(٣) Geographical Memoir of the Persian Empire. (London, 1813, P. 131.)

(٤) Personal Narrative of a Journey from India to England (2 nd ed., Vol II, P. 80, London, 1827.)

(٥) Travels. (1822, Vol. II, P. 159 ff.)

ذلك من التعليلات التى نستغربها الآن . . . . ومع هذا فانها تطلعنا على وضع علم الآثار فى ذلك العصر ، وتدلنا صريحاً على فهم الناس لبقايا السلف

٨ — صعوبة الوصول الى الكتابة لدراستها

ومع أن منحوتات بهشتون كانت قد لوحظت ودرست من قِبَل عدد غير قليل من السياح خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر ، فان أمر نقل الكتابات التى هنالك ظل نسياً منسياً . . ولهذا لم تقع تلك النصوص فى حوزة من يريد فحصها أو تدقيقها ودرسها من طبقة المتعلمين . ولاشك أن لهذا التقصير سبباً : فالقيام باستنساخ النصوص أمر فى منتهى الصعوبة ، لأن الكتابة — كما قلنا سابقاً — نحتت على واجهة صخرية قائمة الانحدار ، يبلغ ارتفاعها ٥٠٠ قدم فوق مستوى السهل . على أن من الممكن الوصول إلى ما علوه مائتا قدم فقط بتسلق كتل الصخر وجلاميده المتفككة والقلاع التى فى سفح الجبل ؛ أما بعد هذه الصخور المبعثرة ، فالأمر يصبح عسيراً جداً ، إذ ينتصب الصخر فجأة ، فيكون التسلق عليه محفوفاً بالمخاطر الجسيمة من كل جانب

٩ — السر هنرى رولنصن يعمل فى بهشتون

وكان أول من تغلب على هذه الصعاب هو السر هنرى رولنصن (١٨١٠ — ١٨٩٥) الذى أصبح حل الكتابة المسمارية مديناً لجهوداته ومساعيه ومغامراته [١]

ففى عام ١٨٣٣ ، عند ما كان ضابطاً فى الجيش الهندى اختير مع بضعة ضباط ليتوجهوا الى إيران ليساعدوا الشاه على تدريب جيشه . وفى عام ١٨٣٥ كان قد أرسل الى كرمنشاه باعتباره مستشاراً للحربية ومساعداً لحاكم تلك المقاطعة . وفى طريقه الى هناك مر بهمدان (اكبتانا) وانتهز الفرصة فاستنسخ الكتابات المسمارية المنحوتة على واجهة الصخر فى وادٍ بجبل الوند قريباً من تلك المدينة [٢] . وقد نجح فى دراسته لهذه

(١) طالع ترجمته فى « أعلام المقتطف » (ص ١٦٠ — ١٦٢) ، وكذلك فى كتاب : Sir Wallis Budge : The Rise and Progress of Assyriology (London, 1925, P. 31 ff.)

(٢) لقد عثر على نصوص ثلاثية اللغة — فضلا عن بهشتون — فى برسبوليس والوند وهمدان ومرغب ومسجد ومادرى سليمان ونقش رستم

الـكتابات ووفق في الحصول على (مفتاح) لمعرفة العلامات المستعملة في الـكتابات المسمارية الفارسية القديمة . ولابد أن نذكر هنا أنه لولا دراسته اللغة الزندية القديمة والفهلوية لما تمكن من قراءة الـكتابة البابلية ، لأن هاتين اللغتين كانتا مشابهتين لـكتابة اللغة المسمارية الفارسية ، وتمكن أخيراً أن يكوّن « هيكلا » للقواعد الصرفية والنحوية وأن يتحقق من معانى كلمات متعددة

وكان خلال الفترة التي أقامها بكرمنشاه (أي من سنة ١٨٣٥ الى ١٨٣٧) قد خصص أوقات فراغه لفحص الـكتابات التي على حجر بهشتون . وفي ختام سـنة ١٨٣٧ كان قد حصل على نسخ لما يقارب نصف الأعمدة للنص الفارسي . وفي نقله لهـذه النصوص أثبت أنه قطع شوطاً بعيداً في التقدم على كل باحث في هذا الموضوع . ولا شك أن نجاحه في هذا العمل المضنى شهادة صادقة على سعة ذكائه وعلو همته

إلا أن مهمته العسكرية اعترضت سبيل عمـله وأقعدته عن إتمامه ، فرأى المصلحة تقضى بأن يدع أعماله في بهشتون جانباً ، ريثما يُعيد الـكرة عليها عام ١٨٤٤

وفي صيف تلك السنة عاد الى هناك مع المستر هستر Mr. Hester والـكابتن جونس Cap. Jones R. N. فأمكنه بمساعدتهما أن ينتهي من استنساخه للنص الفارسي ، وأن يعمل نسخة كاملة للترجمة السوسيانية . وعند ما عمل في مبدإ الأمر نسخةً للنص الفارسي ، قارنَ الفقرتين الأوليين مع الـكتابات التي استنسخها سابقاً في « الوند » فزوّدته هذه المقارنة بمعرفة الأسماء المحلية لـكثير من الأعلام ، فضلاً عن التوصل الى معرفة عدد لايستهان به من الـكلمات الأخرى

وفي عام ١٨٤٧ طبع رولنصن ترجمة كاملة للنص الفارسي من كتابات بهشتون ، مع ذيل صرفي نحوي واسع وأبجدية

أما الترجمة البابلية فقـد نجح رولنصن هذا الوقت في عمل نسخ للـكتابات التسع الصغيرة التي على لوحة المنحوتات ، غير أن القسم الأساسي من النص البابلي قد ظل الوصول اليـه أمنع من عقاب الجو ؛ وما برحت الوضعية على هذه الصورة حتى كان خريف ١٨٤٧ ، حينما عاد رولنصن مرة أخرى إلى بهشتون ، فباشر بعمل التـدابير السديدة للحصول على نسخة من الترجمة البابلية . واستعداداً لأنجاز هذه المهمة الشـاقة زوّدَ نفسه بحبال وألواح خشبية وسلالم إلى غير ذلك من وسائل الصعود والتسلق ، واصطحب معه بعض الأكراد الجبليين ليـكونوا عوناً له في مهمته هذه

وكانت خاتمة هذه الرواية أن توصـل رولنصن إلى الغاية المبتغاة ، بعد أن كان إدراك تلك الغـاية ممتنعاً والتماسها وعراً . فاستنسخ الـكتابة البابلية بأجمعها ، وبهذا أزاح ستاراً آخر طالما كان مسدولاً أمام العلماء والباحثين ..

ولا تزال بعض أوراق رولنصن ومنسوخاته معروضة إلى اليوم في القاعة البابليـة في المتحف البريطاني ، برغم ما أصابها من التلف أثناء عرضها قبلاً في قاعة المحاضرات لمختلف الجمعيات العلمية بلندن

ولابد من الأشارة هنا ، إلى أن حل رموز الـكتابة المسمارية كان قد اشتغل به نفر من العلماء البـارزين ، نخص بالذكر منهم : جروتفند G. F. Grotefend وأوبرت J. Oppert ونوريس E. Norris وهنكس Ren E. Hincks وغيرهم ، إلا أن رولنصن فاقهم جميعاً ، وحاز قصب السبق عليهم ، فلا غرو إذا دُعِيَ بحق « أبا علم الآشوريات »

١٠ — مساعي العلماء بعد رولنصن

وكان بين السياح الذين رحـلوا إلى بلاد الفرس منذ زمن رولنصن ، وقاموا بمساع لأعادة فحص هذه الـكتابة هو جاكسن W. Gackson الذي وفق عام ١٩٠٣ الى الوصول الى الحـافة التي تحت النص الفارسي ، والى عمـل مقارنة ومقابلة بين العبارات المشكوك في صحة استنساخها سابقاً (١)

ثم لـما كان عام ١٩٠٤ أوفد المتحف البريطاني المستر كنج L. W. King (الذي كان وقتئذ قائماً بأعمال الحفر والتنقيب في بقايا نينوى) إلى بهشـتون ، ليقابل بين النصوص وليقيس الأبعاد وليأخذ الصور الفوتوغرافية . وقد رافقه المستر طومبسن R. C. Thompson ليساعده على أداء هذا العمل . وقد قام كنج وطومبسن بهذه المهمة خير قيام ، وتمـكنا من معرفة مقاسات

(١) تجد خلاصـة مقارناته لتلك الفقرات في : jour. American Oriental Society (Vol. XXIV, P. 77 ff.) وكذلك في حديث رحلته المعنون Persia, Past and Present (P. 186 ff.. New york, 1906)

الأشكال والكتابات التي أتينا على ذكرها في محلها من هـــذا البحث . وقد وجدا بوجه الاجمال أن عرض الساحة المغطاة بالمنحوتات والكتابات معاً يبلغ ٦٠ قدماً ، وارتفاعها ٢٣ قدماً

وفي سنة ١٩٠٧ تمكن هذان الباحثان أن ينشرا النصوص الكاملة للكتابات الفارسية والسوسيانية والبابلية في بهشتون ، المبنية على مقارنات حديثة مع الأصول التي على الصخر . مع ترجمتها بأجمعها إلى الانكليزية ، ومقدمة وتصدير وصور فوتوغرافية الخ بعنوان : The Sculptures and Inscriptions of Darins the Great on the Rock of Behiston in Persia (Lxxix + 223 pp, XVI plates)

ولا يزال هذا المؤلف أحسن كتاب للآن يمكن الرجوع إليه في التوسع في هذا البحث

١١ — صيانة مدونات داريوش

ويمكننا أن نعزو بقاء كتابات داريوش هنا ، إلى أنها حفرت على واجهة صخرية قائمة الانحدار ، بحيث أن التسلق إليها يُعد من الأمور المتعذرة . ولكيما يجعل مدوناته بعيدة بقدر الامكان عن أن تسطو عليها أيدي الأعداء وتنال منها مأرباً ، فقد انتزع الزوائد الصخرية الكائنة تحت الكتابة ، فتكوَّنَ من جراء ذلك جدار صخري أملس ، تعلوه الكتابات والصور . وهناك دلائل على أن الملك قد كوّن بعضاً من الطرق للصعود إلى هـذا الصخر بحيث يُتاح للمارة أن يصعدوا ويتفرجوا على كتاباته ونقوشه . ولكن جميع تلك الطرق التي كانت مؤدية إلى الصخر قد انطمست معالمها الآن

وقد كان لتحفظ الملك وبُعد نظره التأثير الحسن في الابقاء على المنحوتات والمدوّنات ، فنجت من التشويه والتلف الناجمين عن عبث يد الانسان . ويمكننا القول بأن معظم التلف الذي أصابها إنما كان من تأثير العوامل الجوية ، ومن رشح الماء خلال طبقات الصخور المكوّنة للجبل

ولم يقف عمل داريوش في إذاعة جبروته وعظمته في العالم عند هذه المنحوتات والمدونات ، بل أراد أن يعمل غيرها من النسخ ، لتُصدَّر وتُذاع بين الشعوب البعيدة عن هذا الموقع ، والداخلة في أمبراطوريته

فقد كشف الدكتور كولدواي R. Koldway في بابل عن قطعة من الترجمة البابلية . وإنا لنأمل في أن ما تمّ وما سيتمّ من الحفريات الأثرية في العراق وفارس يؤديان إلى اكتشاف نسخ أخرى تميط اللثام عن بعض المعميات التي تعتور النصوص الحالية

والخلاصة ، أن هذا الملك العظيم ، قد دون انتصاراته في اللغات الثلاث ، التي كان لها أعظم الأهمية في العالم الشرقي وقتئذٍ ، ولم يكتفِ بهذا بل جعله مطلاً على طريق رئيسية ، وعلى قطعة ترتفع خمسمائة قدم فوق مستوى سطح تلك الطريق وبالقرب من الماء أيضاً ، فلا بد للمسافر من أن يستريح قليلاً هنا ، فيتاح له عندئذٍ مشاهدة هذا الأثر ملياً والتساؤل عن ماهيته

(الموصل) — كوركيس حنا عواد

الصـــــورة

قصة تمثيلية في فصل واحد بمنظرين

بقلم حسين شوقي

الأشخاص

الزوج . الزوجة . الحماة (أم الزوجة)

المكان : حجرة نوم الزوجة

المنظر الأول

الزوجة منهمكة في وضع حوائجها في الحقيبـة ، بينما أمها تجلس أمامها على كرسي « فوتوي » تروح على نفسها بمروحة

الأم – أصغي إلي يا ابنتي ، بالله لا تهجري زوجـك . إنك لن تجدي أفضل منه . صحيح أن فيـه عيوباً مثل مغالاته في الشرب ، أو تأخره في السهر ، ولكن أين الزوج الكامل ؟

الزوجة – هذه ليست عيوباً في نظري يا أماه ، بالعكس إني أبغض الزوج الذي يقضي كل وقته في المنزل متعلقاً بأهداب زوجه . لا يعرف ما يحدث في الحياة خارج محيط البيت

الأم – إني لا أفهمك يا ابنتي . إذا هجرك زوجك غضبت ، وإن بقي بجـانبك غضبت أيضاً ، فماذا تريدين في النهاية ؟ لماذا تهجرينه إذن ؟

الزوجة – لأنه يكذب ، والكذب أبغض الأمور لديّ ، فهو مرآة النفس الجبانة

الأم – إبنتي ، تريثي . فكري ملياً في الأمر

الزوجة – آسف يا أماه . لا أستطيع البقاء . . آه من النذل ! يخدعني أنا ؟ ومع مَنْ ؟ مع أعز صديقة لي !

الأم – ليس الذنب ذنبي يا ابنتي . . المسئولة هي صديقتك العزيزة . أليست هي التي غازلته ؟

الزوجة – آه منها الماكرة ! كم تظاهرت لي بالوفاء ! إنها كانت تشاركني دموعي في أوقات أحزاني ! (بعد لحظة) ولكن ما الذي حببها إليه ياترى ، وهي خلو من كل جمال ؟ أعلق بأنفها المقوّس مثل أنف الحاخام ؟ أم اشتهى شفتيها الغليظتين كشفتي الزنجية ؟

الأم – الآن فقط تجدينها دميمة ! . . وكنتُ إذا ذكرت لك هذه العيوب نفسها عارضتني قائلة : إن هذه العيوب تكسب صديقتك ما تسمونه أنتم يا شباب اليوم : الجاذبية الجنسية . . . حقاً ! ما أبعدكم عن إدراك مُثل الجمال الحقيقية ! . .

الزوجة (في ضحك) – يا أماه . . أمثالكن نساء قبل الحرب ، يرون الجمال عبارة عن غرائر من الشحم رُسمت لهـا حواجب وعيون وأفواه . . . .

الأم (في غضب) – وما أو قحكن أيضاً يا بنات اليوم ! (بعد لحظة) والآن لنعد إلى موضوعنا . . . بالله سامحي زوجك يا ابنتي . . أنت تعرفين أنني لا أميل إليه كثيراً . . . ولن أنسى له هديته التافهة حينما عاد في الخريف الماضي من روما . . ولكن هـذا لا يمنعني بصفتي أمك التي تحب لك الخير أن أشير عليك بالبقاء معه . . سامحيه ، إن التسامح أفضل معاني الكرم . .

الزوجة (في تهكم) – آسف يا أماه . . لستُ قدّيسة لأتسامح . ولستُ أعيش في زمن المسيح ، حتى إذا لطمني شخص على خدّي الأيمن أدرت له الخدّ الأيسر . .

الأم – سامحيه يا ابنتي . . إنهـا هفوة واحدة منه . . . (في حسرة) ربّ ! كم سامحتُ أنا والدك عن هفوات لا هفوة !

الزوجة – لأنك كنت بلهاء يا أماه . .

الأم (في غضب) – حقاً ! إنك وقحة ! (بعد لحظة) كلا ! يا ابنتي لم أكن بلهاء حينما سامحت والدك ، غفر الله له ! بل كنت على ثقة أنه سوف يمل حيـاة المغامرات التي كان يحياها ، وأنه سوف يدرك في النهاية أن السعادة الحقيقية للزوج هي داخل منزله . . طبعاً تألمت كثيراً من أجل هـذا ، ولكني ظفرت في النهاية . . . (بعد لحظة) ولو كنتُ هجرتُ والدك إذ ذاك ، أكانت ترى الوجود هـذه الفتاة الرشيقة الحسناء الماثلة أمامي اليوم ؟ . .

الزوجة – (تترك جمع حوائجها فجأة وترتمي في أحضان أمها باكية) آه يا أماه ! إنني أتألم . .

الأم – إنك مازلتِ تحبينه يا ابنتي . . هذا هو الحب ، هذا هو قلبك يحتج بدوره على هذا الخصام . .

الزوجة – أجل إني أحبه . . ولكن كرامتي يا أماه ، ماذا أصنع لها ؟

الأم – ماذا تقولين ؟ الكرامة ؟ الحب يا ابنتي قبـل كل

شيء . . الحب هو الحياة . . صدّق أمك العجوز المجرّبة . .

الزوجة (وكأنها عادت إلى نفسها) ـ كلا ! لن أصفح عنه ! لقد صممتُ على هجره . . إن الضعف الذى أظهرته الآن ليس خليقاً بفتاة مثلى شاهدت الحرب الكبرى

الأم (فى غضب) ـ ها قد عدت إلى جنونك ! (تنهض) افعلى ما شئت .. ولكن اعلمى جيداً أنك ستندمين على عملك هذا .. أما أنا فقد سئمتُ من إسداء النصح إليك . .

(تخرج ، فيدخل الزوج من باب آخر وبيده بعض الأوراق)

المنظر الثانى

الزوج ـ آسف لو كنتُ أزعجتك ، ولكنى أتيتُ لأردّ لك بعض مستندات لك كانت محفوظة فى الخزانة الحديدية . .

الزوجة ـ (دون أن تلتفت اليه) حسن . . أشكرك . . ضعها هناك . . (تشير إلى مائدة بجوار السرير)

الزوج (فى تردد) ـ هل صممتِ على الرحيل ؟

الزوجة ـ أجلْ . .

الزوج ـ هل نسيت كل شئ ؟ : عهد خطوبتنا السعيد . . نزهاتنا الطويلة فى الخلاء . . الورد الأحمر العجيب الذى كنتُ أقطفه لك خلسةً من حديقة الجار البخيل . . ثم شهر العسل فى ربوع إيطاليا الجميلة . . ثم مقامنا فى نابولى تحت أقدام بركان « الفيزوف » المخيف . . ثم نبيذ إكيا الذهبى . ثم موسيقاها الشجية . . ثم ليالى البندقية الشعرية فوق مياهها الساكنة . . هل نسيت كل ذلك الماضى البعيد القريب ؟ . .

الزوجة (متململة) ـ ثم خيانتك . . ثم كذبك . . ثم . . أرجوك دعني الآن أجمع حوائجى . .

الزوج ـ أنت تعلمين أنى أسفتُ كثيراً على فعلتى الشنيعة .. عزيزتى . . هلاّ صفحتِ عنى ؟

الزوجة ـ آسف لا أستطيع . . (فى هذه الأثناء تضع خلسة صورة زوجها فى الحقيبة فيراها)

الزوج ـ عزيزتى . . هل تأذنين لى بأن أدخن سيجارة فى هذه الحجرة الظريفة ونحن مجتمعان لآخر مرة ؟ (ويجلس على مقعد)

الزوجة (فى تردد) ـ فليكن . .

الزوج ـ عزيزتى . . هل تأذنين لى فى سؤال واحد ؟

الزوجة ـ لست مستعدةً الآن للأجابة على أسئلة ، فانى أجمع حوائجى على عجل حتى لا يفوتنى قطار المساء . .

الزوج (ملحاً) ـ سؤال واحد فقط

الزوجة (متململة) ـ إذن قل ولكن اقتصد !

الزوج ـ هل أنت واثقة أنك لم تعودى تحبيننى ؟

الزوجة ـ أجل أنا واثقة من ذلك كل الثقة . . . .

الزوج ـ ألم يبق فى قلبك شيء من العطف ؟

الزوجة (مقاطعة) ـ لا لزوم لهذا الكلام . .

الزوج ـ هو سؤال واحد أريد الأجابة عليه ... ألم يبق لك شيء من العطف ... لا على ... بل على ذكرى الماضى ؟ ...

الزوجة ـ لا

الزوج ـ لنستبدل إذن كلمة العطف ونعود الى الحب : .

الزوجة ـ أبداً . .

الزوج ـ بل أنا أقرر أنك تشعرين نحوى بالحب !

الزوجة ـ لا ، بل أمقتك !

الزوج ـ إن المقت والحب قريبان جداً ، بل هما متصلان ، فهما طرفان ، والطرفان لا بد أن يتماسّا . .

الزوجة ـ دع هذا الكلام . . . ألم تنته من سيجارتك ؟

الزوج (مستمراً) ـ إن لدى شاهداً على صحة هذا القول .. على صحة الحب . . وعبثاً تحاولين انكاره . .

الزوجة ـ دعك من هذا الهراء ! . .

الزوج ـ (ضاحكا) إن شاهدى هو فى تلك الحقيبة . . هى الصورة التى خبئتها الآن خلسة . . لماذا تحملين صورتى معك إذا كنت لاتحبين صاحب الصورة ؟

الزوجة (تخرج الصورة من الحقيبة فتلقى بها على المائدة) ـ اليكها خذها . . احتفظ بها . .

الزوج (يخف الى زوجه فيطوقها بذراعيه) ـ عزيزتى ، هذا إقرار منك بأنك مازلت تحبيننى . . . .

الزوجة (فى ضعف) ـ ابتعد عنى ! . .

الزوج ــ هل صفحت الآن !

الزوجة (مستسلمة) ـ لا ، أبداً ، ربما أصفح أنا ، ولكن هذا (تشير الى ناحية القلب) هل يصفح ؟

الزوج (ضاحكا) ـ هذا ؟ لقد سامحنى منذ هنيهة حينما حرضك على اغتصاب الصورة !

« ستار »

كريمة ابن هانى — حسين شوقى

التصوف الاسلامى

بقلم سليمان فارس النابلسى

تتمة

ماهية الصوفية وبعض عقائدها

إذا مارجعنا الى المصادر الصوفية لنتفهم حقيقة هذه الطريقة استخلصنا من بين ثنايا السطور بعد إجهاد وكدّ أنها إنما تتمّ بعلم وعمل ، وذلك بقطع عقبات النفس والتنزه عن أخلاقها ورغباتها ومطامعها المادية حتى يُتوصّل بذلك الى تخلية القلب من غير الله وتحليقه بذكره سبحانه

وأخص خواص هــــذه الطريقة لايتوصل اليه بالتعليم والاستقراء والدرس بل يلتمس بالذوق العالى وتبدل الصفات ، إذ أنهم يرون أن الفرق شاسع بين معرفة حدّ الشيء وبين معرفة الشيء نفسه ، كأن يعرف المرء حدّ السكر مثلاً بأنه حالة يجلس فيها فيأخذ من الشراب الى أن يصبح ثملاً فنشوان فسكران ، وبين أن يكون سكراناً . وكذلك القياس فى معرفة حقيقة التصوف من أنه عزوف النفس الكامل عن المادة ، وبين أن يكون متصوفاً زاهداً

يعتقد الصوفيون أن معرفة الله لاتأتى بالمجادلات العقلية ولا بالمناظرات الفلسفية ، ذلك لأن العقل الانسانى عاجز عن إدراك كُنْه الحق المطلق وتفهّم صفاته وخواصه بمثل هذه الأشياء ، وإنما تتكون المعرفة فى الشعور بطريقة خاصة وعمل مستمر يمكّن من رؤية الله تعالى بالقلب لا بالعقل

يسلك الناسك (طريقاً) خاصاً للوصول الى هذه الغاية يكون فيها تهذيبه وتنقية روحه من عوارض الدنيا وزخارفها المادية ، ثم يتدرّج فى هذه السبيل ويقطع (مقامات) معيّنة يصل فى نهايتها الى الفناء فى الحق ، وهذه المقامات سبعة وهى : التوبة والورع والزهد والفقر والصبر والتوكل والرضا ، يكسبها لنفسه بنفسه بعد طول الجهد والتهذيب المنظم

وقد اختلف العارفون فى فهم كنه هذه المقامات وتباينت آراؤهم فى تفسيرها على معانيها الظاهرة أو الباطنة ، فالفقر مثلاً حسب ظاهر المعنى هو ألا يملك المتصوف الزاهد شيئاً مادياً ، على حين أن البعض الآخر ذهب الى أبعد من ذلك فاعتقد بأن على المتصوف الذى بلغ (مقام) الفقر أن يجرد نفسه من الشعور بالحاجة الى المادة ويقتلع من جوانحه التفكير فى ضرورتها ، وعندئذ فقط يصبح فى مقام الفقير المتصوف

وهناك اختلاف آخر ، فالفقير الذى يتمسك بالفقر ويعتقد اعتقاداً جازماً بتفوق الفقر وماله من فضل على ضروب الغنى طمعاً فى مكافأة ربانية ليس متصوفاً حقاً ، ذلك لأنه يحمل مشقة الفاقة ويصدف عن المشاعر بالمسرات الدنيوية خشية خسران المبرّة الربانية وأجر الصبر ، وهذا لا يغني فتيلاً ، بينا أن المتصوف الحقيقى لايترك مافى هذه الحياة الدنيا من ملاذّ ومُتَع لقاء ثواب فى الحياة الأخرى ، بل هو يبتعد عنها لما يجده فى سلوكه هذا وفى حالته من الجزاء الأوفى . وهكذا نرى أن الاختلاف بيّن واضح ، الواحد يتخذ الفقر وسيلة للثواب والأجر ، بينا أن الثانى يبتغى الفقر غاية وأملاً

١ — عقيدتهم فى التوحيد : إن شيوخ هذه الطريقة بنوا قواعد أمرهم على أصول صحيحة فى التوحيد . فمن تصفّح كلامهم وتأمل فى ألفاظهم ألفى فى مجموعه ما يؤكد له أن هؤلاء القوم عرفوا صفة الخالق فوحدوه ، وشهدوا بقدمه فنزهوه عن الحدث

والتوحيد هو الحكم بأن الله واحد ، وفى ذلك نفى التقسيم لذاته ونفى التشبيه عن حقه وصفاته ونفى الشريك معه فى أفعاله ومخلوقاته . وينقسم الى ثلاثة أقسام : توحيد الحق للحق ، وهو علمه بأنه واحد وخبره عنه بأنه واحد ، والثانى توحيد الله سبحانه للخلق ،وهو حكمه بأن العبد موحّد ، وخلقه هو توحيد العبد فى قرارة نفسه ، والثالث توحيد الخلق لله وهو علم العبد أن الله تعالى واحد وإخباره عنه بأنه واحد

٢ — فى المحبة : المحبة عُرفاً هى ميلك الى الشيء بكليتك ، ثم إيثارك إياه على نفسك ومالك وموافقتك له سراً وجهراً . وجاء فى كتبهم على لسان المولى عز وجل أنه قال : ما تقرّب الىّ عبدى بشيء أحب الى من أداء ما افترضت عليه ، ولا يزال عبدى يتقرب إلىّ بالنوافل حتى أحبّه ، ومن أحببتُه كنت له سمعاً وبصراً ومؤيداً ويداً

والمحبة على لسان العلماء هى (الارادة) ولكن ليس مراد القوم بالمحبة الارادة ، فان هذه لاتتعلق بالقديم . فالمحبة الالـهية للعبد

هي تخصيصه بانعام خاص كما أن رحمته له هي إرادة الانعام

٣ — **التوكل** : نجد الصوفيين أكثر ما كانوا تضاربا في الآراء واختلافاً في الفكر في هذه العقيدة وأشباهها مما يتعلق بالمادة ، فبينا نقرأ للروذبادي قوله لرجل صوفي مدّ يده إلى قشرة بطيخ ليأكل : «إلزم السوق فهو أولى لك وأخير » ، وقول آخر منهم « إذا قال الفقير بعد خمسة أيام أنا جائع ، فألزموه السوق ومروه بالكسب والعمل » نقرأ لغيره قوله « أقمت في الحرم مرة عشرة أيام ، فأحسست بضعف ، فخرجت إلى الوادي لعلّي أجد شيئاً يسكّن ضعفي ، فلم أجد شيئاً ، فرجعت وقعدت . وبينما أنا جالس وإذا برجل أعجميّ جلس بين يديّ ووضع مائدة وقال هي لك . »

هذا التغالي في التوكل انتظاراً للرزق يأتي عن طريق الرفد والاحسان هو ما يضع من شأن هذه العقيدة في نفوس الناس ، إذ أن مثل هـذا يورد موارد الفاقات ، فلا تسمو النفس ، ولا يعظم الشأن

٤ — **ومن معتقداتهم الفناء والبقاء** . فالفنـــاء سقوط الأوصاف المذمومة ، والبقاء قيام الصفات المحمودة . يقال فني عن شهواته إذا بقي بنيّته وأخلص في عبوديته ، ومن فني عن رغبته بقي بزهادته

وهم يعتقدون كذلك في الغيبة والحضور ، فالغيبة هي للقلب عن علم ما يجري من أحوال الخلق لاشتغال الحس بما ورد عليه من النفحات القدسية . وأما الحضور فقد يكون حاضراً بالحق ، لأنه إذا غاب عن الخلق حضر بالحق ، بمعنى أنه يكون كأنه حاضر ، وذلك لاستيلاء ذكر الحق على قلبه

ولو أردت أن أعدد هذه المعتقدات لطال بي المطال وكلّت مني الأيدي .

تطور الصوفية وطرقها الحديثة

كانت الصوفية في أول عهدها ومبتدإ حياتها صبغة من الدين بسيطة ، خاصــة بجماعة من الرجال المتدينين نشروها في حلقات صغيرة من الأصدقاء . ثم أخذت تتدرّج وتتعاظم ، فكوّنت طبقة خاصة ذات مدرسة خاصة ، بقواعد وأنظمة مقررة يتلقاها المبتدئون ممّن سبقوهم في الأيمان بها . ثم ما لبث أن قويت شوكة الرؤساء وكبار الشيوخ ، فأخذوا يسيّرون تلامذتهم وأتباعهم حسب مشيئتهم وأهوائهم دون أن يكون لهؤلاء رأي ، وما عليهم إلاّ الطاعة والأنقيـاد . حتى إذا تطاول الزمن ومرت السنون ، لم يعد الصوفي الكبير في معزل عن العـالم الأجتماعي حوله يعيش عيشة التقشف والزهد ، يطلب الوحدة نفوراً من مرأى الناس وظلمهم وتكالبهم على الملذات والصغائر ، بل أضحى شيخاً وجيهاً ذا عمّة منتظمة وجبّة فضفاضة ، يظهر في المجتمعات العامة محاطاً بطائفـة من مختلف الطبقات من بطانته وأتباعه والمعجبين به

ففي أوائل القرن الثـالث عشر ظهرت فرق الدراويش كالعدوية والقـادرية الجيلية ، اللتين أسسهما عدي الحكري وعبد القـادر الجيلي ، ثم تبع هاتين ظهور الشاذلية والرفاعية والمولوية ، فالرفاعية تنسب إلى مؤسسها أبي العباس أحمد الرفاعي المولود في أم عبيدة إحدى قرى الفرات ، وهي تحيا اليوم بفرقتين كبيرتين هما العلوانية والجيباوية ، المشهورتين بحفلة (الدوسة) . هاتان أشد فرق الدراويش تعصباً وأكثرهم جهلاً وخبالاً

والقادرية الجيلانية يدعون أن عبدالقادر الجيلاني هو مؤسس طريقتهم ، وهم في أورادهم وأذكارهم لا يفعلون كما يفعل الجيباويون من تقطع الأجساد وغرزها بالأبر والأمواس ، بل يذكرون الله بتؤدة وهدوء ووضوح

وأما المولوية أو (الدراويش الراقصون) فقد أسسها في العجم الشاعر الفارسي المتصوف الشهير جـلال الدين الرومي مؤلف (المثنوي)

على أن المركز اللائق الذي اكتسبته الصوفية في الدين والعطف الذي تفيأت ظلاله ، إنما ظهر بتأثير الغزالي الذي مال ميلاً كلياً إلى هـذه العقيدة بعد أن درس الآراء والمعتقدات الأخرى . فقـد أدخل الغزالي على الشريعة عنصراً جديداً بعث فيها النشاط بعد أن ظلّت زمناً طويلاً في ركود من جراء الحروب الكلامية المستمرة بين الفلاسفة والدهريين والمتكلمين . ولم يقف أبو حامد عند هـذا بل أدخل في الصوفية الفكرة الأساسية لما (وراء الطبيعة) ، وأخـذ المسميات والمصطلحات التي عمد إليهـا ابن سينا والفارابي من تعاليم الأفلاطونية الجديدة وأحلّها مكاناً مقيداً في الدين الاسلامي . على أنه وان لم يسلك هـذه الطريق إلى النهاية ولم يتقيد بسبل هذا المذهب إلاّ أنه اتبع التصوف العملي . فهو وإن يكن بحث في الموضوعات والآراء الخياليـة النظرية إلاّ أن علمه وإدراكه قد

اضطراه إلى أن ينحو منحى آخر ، ذلك أنه جعل العبادة قسماً من الحياة اليومية يمارسها العامة والخاصة على السواء

الصوفية وثقاة المسلمين

إن محور التصوف هو التجرّد عن النفس وما ترتبط به من مادة ، والانصراف الكلّي للحب الالـهي . وغاية ذلك أن يمتزج العنصر الالـهي الروحي في الانسان مع (العقل الأول) الذي منه نشأ وإليه يرتقي . هذه الفكرة وإن كانت بعيدة عن ثقاة المسلمين الأولين الذين انطبع في نفوسهم خوف الله والرهبة منه لكنها ليست غريبةً بتمامها عن العقل الاسلامي

ولقد لاقت الصوفية كما لاقى غيرها من المذاهب والآراء الجديدة مقاومة كبيرة فيها عنف وفيها شدّة من بعض ثقاة المسلمين . وغالى بعضهم في نقمته فنعت الصوفيين بأنهم قوم جهلة يتخبطون في مهاوى الغيّ والفساد ، لا يركنون إلى الكتاب والسنة في كل مايفعلون ، ثم أوغلوا في تهجمهم عليهم فقالوا ما التصوف إلا إسقاط الجاه وسواد الوجه في الدنيا والآخرة ، وما المتصوفون إلا قوم مراؤون يئسوا من العمل ومالوا إلى الخمول والكسل فكان شأنهم شأن من ينتظر أن تمطره السماء ذهباً وفضة

كانت هذه الحركة العدائية ترتكز على ثلاثة أسس :

أولاً : أن الصوفيين بشروا بصلاة ساكنة ، وبهذا مالوا إلى إنقاص شأن الصلوات الخمس الجبرية المفروضة التي هي من أركان الاسلام الخمسة زاعمين أنها من خصائص العامة الذين لم يتعمقوا في المعرفة الروحية . أما هؤلاء الذين ارتقوا إلى أعلى درجات العلم والفلسفة فهم في غنى عنها

ثانياً : أنهم أدخلوا (الذكر) في الدين ، وهو إعادة دائمة لاسم الله تعالى بأوضاع وأشكال منوعة على نمط لم يعرفه المسلمون المتقدمون ، فهو إذن بدعة (وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار)

ثالثاً : أن كثيراً منهم اعتنقوا مبدأ التوكل مهملين جميع أنواع العمل وألوان التجارة وفي هذا ما فيه من إضعاف شأن الأمة اقتصادياً واجتماعياً . ثم أنهم كانوا يرفضون المساعدات الطبية عند الحاجة ويعيشون على الصدقات يتطلبونها من المؤمنين . أنهم ليحدثون في عقول الناس معنىً خاصاً لله وللدين

لم يقف الصوفيون أمام تهجمات خصومهم مكتوفي الأيدي ولم يفقدوا رشدهم أمام هذه الحملات الشعواء المبعوثة من كافة النواحي والجماعات ، بل دافعوا عن كيانهم بحجج قوية وأدلة مبعثها الكتاب والسنة وأثبتوا فضلهم وعلمهم ، وقالوا إنهم قوم آثروا الله على كل شيء فاصطفاهم من دون الناس كافة لأيقاظ الناس وإطفاء شعلة التشكك والألحاد ، قال الشبلي : « الصوفي منقطع عن الخلق ، متصل بالحق ، بدليل قوله تعالى واصطفيتك لنفسي . قطعه عن كل (غير) ثم قال لن تراني . » ومما استشهدوا به على أنهم وُصفوا في الذكر الحكيم بالصدق والخشوع والصبر والتوكل والقنوت والزهد : وهم على اعتقاد أنهم المعنيّون بهذه الأوصاف . ومن كلام النبي (ص) فيهم قوله . « رب أشعث أغبر ذي طمرين لو أقسم على الله لأبرّه »

كلمة ختامية

إن تعاليم الصوفية قد لاءمت العقلية الفارسية أكثر مما لاءمت العقلية العربية . ولم يكن تأثيرها في الحياة العربية والأدب العربي خاصة مضارعاً ما كان لها من أثر بيّن في الأدب الفارسي منذ أوائل القرن الحادي عشر حتى يومنا هذا

والواقع أن الكثرة المطلقة من شعراء الفرس المجيدين قد انصهروا في بودقة هذه التعاليم فامتزجت بتفكيرهم وخيالهم ، وظهر هذا جلياً واضحاً في الاستعارات والمسميات الصوفية التي كانوا يطرزون بها أشعارهم . على حين لم يكن بين شعراء العرب المجلين من وقف وقفة ولو بسيطة عند هذه التعاليم إذا استثنينا الشاعر المبدع شرف الدين عمر بن الفارض العربي المولد والشعر مادة وروحاً . وللعرب في تاريخ الصوفية الأدبي فارس آخر هو محي الدين بن العربي الأندلسي المولد في القرن الثاني عشر الذي ألقى عصا الترحال في دمشق الفيحاء ، بعد أن زار في رحلته مصر والحجاز وبغداد والموصل وآسيا الصغرى ، وله مؤلفات تربو على المئتين والخمسين عدا ، وأشهرها الفتوحات المكية وفصوص الحكم وبهما يعتبره البعض أعظم صوفيّ الاسلام

هذه صفحة موجزة في تاريخ الصوفية ونشأتها أود أن أختمها بالثناء العاطر على الأستاذ العلامة نكلسون لما بذل من مجهود في تنقيبه عن أسس هذه الطريقة ومعالمها ، فأضاء لنا صفحة مشرقة في تاريخ هذا البحث الخطير الشأن . وعسى أن يقوم من بين علماء العزبية من يتطوّع للكتابة في هذا الأمر الجليل ، فالمجال مازال واسعاً والفائدة جزيلة عامة إن شاء الله

السلط — شرق الأردن **سليمان فارس النابلسي**

٩ـ محاورات أفلاطون

الحوار الثالث

فيدون أو خلود الروح (١)

ترجمة الأستاذ زكي نجيب محمود

أشخاص الحوار
فيدون (وهو راوي الحوار الى اشكراتس من أهالي فليوس)
سقراط . أبولودورس . سمياس . سيبيس . كريتون . حارس السجن
مكان الحوار : سجن سقراط
مكان الرواية : مدينة فليوس

اشكراتس ـ أي فيدون ! هل كنت بنفسك في السجن مع سقراط يوم تجرع السم ؟

فيـدون ـ نعم كنت يا اشكراتس

اشكراتس ـ أود لو حدثتني عن موته ، ماذا قال في ساعاته الأخيرة ؟ لقد أنبئنا أنه مات باجتراعه السم ، ثم لم يعلم أحد منا فوق ذلك شيئاً ، فليس ثمت اليوم بين بني فليوس من يذهب إلى أثينا ، كما أن أحداً من الأثينيين لم يجد سبيله الى فليوس منـذ عهد بعيد ، ولذا لم يأتنا عنه نبأ صريح

فيـدون ـ هل أتاك حديث المحاكمة وكيف سارت ؟

اشكراتس ـ بلى ، لقد حدثنا بعض الناس عن المحـاكمة ، فلم ندر لماذا نفذ فيه الأعدام بعد الأدانة بزمن طويل ، كما رأينا ، ولم ينفذ في حينه ؟ فما علة ذلك ؟

فيـدون ـ علته حادث وقع في اليوم السابق لمحاكمته يا أشكراتس ، وهو تكليل مؤخرة السفينة التي يبعثها الأثينيون الى دلفى

اشكراتس ـ وما تلك السفينة ؟

فيـدون ـ يروى الأثينيون أنها السفينة التي كان قد أبحر عليها تسيوس Teseus وصحبه الشبان الأربعة عشر الى اقريطش ، حيث نجا وإياهم ، وكان قد قيل وقتئذ إنهم نذروا لأبولو أن لو سلموا ليحجُّن الى دلفى مرة في كل عام ، وما تزال تلك العادة متصلة الى اليوم . فهذه الفترة كلها ، التي تنفقها السفينة في رحلتها الى دلفى ، ذهاباً وإياباً ، منذ الساعة التي يكلل فيها كاهن أبولو مؤخرة السفينة ، فترة حرام ، لا يجوز للمدينة خلالها أن تدنس أرضها بقتل أحد من الناس ؛ وكثيراً ما اعترضت السفينة ريح أخرتها ، فأرجيء الأعدام أياماً طوالاً . فهذه السفينة كما سبق لي القول قد كللت في اليوم السابق لمحاكمة سقراط . فدعاه ذلك الى أن يلبث في السجن ولم يعدم إلا بعد الأدانة بزمن طويل

اشكراتس ـ كيف كان موته يافيدون ؟ ماذا عُمِل وماذا قيل ؟ ومن ذا جاوره من أصدقائه ؟ أم لم يأذن لهم ذوو السلطان بالحضور فمات وحيداً ؟

فيـدون ـ لا ، بل رافقته من أصدقائه طائفة كبيرة

اشكراتس ـ إن لم يكن لديك ما يشغلك ، فأرجو أن تقص على ما حدث ، دقيقاً ما استطعت إلى الدقة سبيلاً

فيدون ـ لا شاغل عنـدي ، وسأحاول أن أجيبك إلى ما رجوت ، فليس كذلك أحب إلى من أن أكون ذاكراً لسقراط ، سواء أكنت أنا محدثاً ، أم كنت مستمعاً إلى من يتحدث عنه

اشكراتس ـ لن تجد من سامعيك إلا نفوساً ترغب فيما رغبت فيه ، وإني لآمل أن تكون دقيقاً ما وسعتك الدقة

فيـدون ـ إني لأذكر ما اعتراني من إحساس عجيب ، إذ كنت إلى جانبه ، لقد كنت بإزائه غليظ القلب ، ياأشكراتس ، لأني لم أكد أصدق أني إنما أشهد صديقاً يلفظ الروح . إن كلماته وقسماته ساعة الموت ، كانت من النبل والجلد ، بحيث بدا في ناظري كأنه رافل في نعيم ؛ فأيقنت أنه لا بد أن يكون بارتحاله إلى العالم الآخر ملبياً لدعوة من ربه ، وأنه سيصيب السعادة إذا ما بلغ ذلك العالم ، إن كان لأحد أن يعيش ثمت سعيداً ؛ فـكان طبيعياً ، وتلك حاله ، ألاَّ تأخذني عليه الرحمة ، ولـكني مع ذلك

(١) وقع هذا الحوار بين سقراط وطائفة من أصـدقائه قبيل وفاته بساعات قليلة . وقد ذكره أفلاطون كما رواه فيدون الى اشكراتس ، أحد أهالي مدينة فليوس ، بعد موت سقراط ببضعة شهور ، وقيل بعده ببضعة أعوام ، وكان يستمع مع اشكراتس الى رواية فيدون جمع من أهالي تلك المدينة

ولما كان فيدون في حديثه راوية يقص ماقد شهد أو سمع تراه لايقتصر على ذكر الحوار الذي كان قد دار بين سقراط وأصدقائه ، بل يضيف اليه وصفاً لحركات سقراط وأعماله أثناء الحوار لم يترك منها كبيرة ولا صغيرة ويدور معظم هذا الحوار على إثبات خلود الروح بعد الموت

لم أجد فى الحوار الفلسفى (إذ كانت الفلسفة موضوع حديثنا) ما تعودت أن أجده فيه من متاع؛ لقد كنت مغتبطاً، ولكنى أحسست إلى جانب الغبطة ألماً، أنْ علمت أنه لن يلبث طويلاً حتى يموت. لقد ساهمنا جميعاً فى هذا المزيج العجيب من المشاعر، فكان يتناوبنا الضحك والبكاء، ولا سيما أبولودورس لأنه سريع التأثر — هل تعرف هذا الضرب من الرجال؟

اشكراتس ـ نعم

فيدون ـ لقد غُلب على أمره وتخاذلت قواه. وأنا نفسى، بل وكلنا جميعاً، قد بلغ منا التأثر مبلغاً عظيماً

أشكراتس ـ من كان الحضور؟

فيدون ـ حضر سوى أبولودورس من بنى أثينا، كريتوبولس، وأبوه كريتون، وهرموجينس وأبيجينس، وايشينس، وانتستين. كذلك اكتيسبّس من أهل بيانيا، ومينكسينوس وغيرهم كثيرون. أما أفلاطون فقد كان مريضاً فيما أظن

اشكراتس ـ أكان ثمت أحد من الغرباء؟

فيدون ـ نعم، كان هناك سمياس الطيبى، وسيبيس، وفيدونديس، وأقليدس، وتربيزون الذين جاءوا من ميغارا

اشكراتس ـ وهل كان أرسطبّس وكليومبروتس حاضرين؟

فيدون ـ لا. فقد قيل إنهما كانا فى أيجينا

اشكراتس ـ ومَن غير هؤلاء؟

فيدون ـ هم فيما أحسب كل الحاضرين على وجه التقريب

اشكراتس ـ وأى حديث تناولتم بالحوار؟

فيدون ـ سأسوق الحديث من أوله، محاولاً أن تكون الرواية شاملة

ولعلك تعلم أنا قد كنا من قبل نجتمع مع الصباح الباكر فى المحكمة التى جرت فيها المحاكمة، وهى على مقربة من السجن، فنظل نتجاذب أطراف الحديث حتى تفتح أبواب السجن (وقد كانوا لا يبادرون بفتحها) فندخله لننفق معظم النهار مع سقراط، فلما كان الصبح الأخير، بكرنا باللقاء عن الموعد المعهود[١] إذ علمنا فى الليلة السالفة أن السفينة المقدسة قد عادت من دلفى فتواعدنا على اللقاء فى المكان المضروب جد مبكرين، فما كدنا نبلغ السجن حتى طلع السجان المسئول عن حراسة السجن، ولم يأذن لنا بالدخول، بل أمرنا أن ننتظر حتى يدعونا، «لأن الأحد عشر مع سقراط الآن، يرفعون عنه الأغلال، ويأمرون بأن يكون اليوم قضاؤه المحتوم» كما قال. ولم يلبث أن عاد يجيز لنا الدخول، وإذ فعلنا ألفينا سقراط قد خلص لتوه من الأصفاد، واكزانثيب[١]، التى تعرفها جالسة الى جانبه تحمل وليده بين ذراعيها، فلم تكد تبصرنا حتى صاحت قائلة ماينتظر أن تقوله النساء: «أواه ياسقراط! لتلك آخر مرة يتاح لك فيها أن تتحدث الى أصدقائك أو يتحدثون اليك» فنظر سقراط الى كريتون، وقال: «مُرْ أحداً يا كريتون أن يذهب بها الى الدار» فساقها بعض حاشيته صارخة لادمة، وما كادت تغيب عن النظر حتى انثنى سقراط، وكان جالساً على سريره، وأخذ يربت على ساقه قائلاً: «ما أعجب هذا الشىء الذى يسمونه اللذة، وما أغرب صلته بالألم، الذى قد يظن أنه واللذة نقيضان، لأنهما لا يجتمعان معاً فى إنسان، مع أنه لابد لمن يلتمس أحدهما أن يحمل معه الآخر؛ إنهما اثنان، ولكنهما ينبتان معاً من أصل واحد، أو يتفرعان عن أرومة واحدة، ولست أجد سبيلاً الى الشك فى أنه لو رآهما أزوب Aesop، لأنشأ عنهما قصة، يصوّر فيها الله وهو يحاول أن يوفق بينهما فى الخصومة القائمة، فان لم يوفق، شد رأسيهما الى بعض فى وثاق واحد[٢]، وذلك علة أن يجىء الواحد فى أعقاب أخيه، كما شاهدتُ فى نفسى، إذ أحسست لذة فى ساق جاءت فى أثر الألم الذى أحدثه القيد فيها[٣]

وهنا قال سيبيس: كم يسرنى حقاً ياسقراط أن تذكر أزوب، فقد ذكرنى ذلك بمسألة طرحها بعض الناس واستجابنى عنها افينوس الشاعر أمس الأول، ولا ريب فى أنه سيعود

(١) اضطر الأثينيون إلى تأجيل تنفيذ الاعدام حتى تعود السفينة المقدسة من دلفى، وقد استغرقت تلك السفينة فى رحلتها ثلاثين يوماً، قضاها سقراط فى محاورة صفوة تلاميذه، ويشير هنا فيدون إلى أن هؤلاء التلاميذ قد قصدوا إلى سقراط فى سجنه مبكرين فى آخر يوم من أيامه، أى حينما علموا أن السفينة باتت على مقربة من أثينا لتطول مدة الحوار الأخير

(١) إكزانثيب هى زوج سقراط

(٢) أى خلقهما فى حيوان واحد ذى رأسين، إشارة الى شدة الاتصال بينهما

(٣) تعمد أفلاطون أن يسوق على لسان سقراط هذه الملاحظة، أى أن اللذة تعقب الألم، تمهيداً لنظريته فى التبادل بين الأضداد، التى سيجىء ذكرها بعد فى هذا الحوار

ثانية الى السؤال ، فحدثنى بماذا أجيبه ، إن كنت تحب أن يظفر بالجواب . إنه أراد أن يعرف لماذا ، وأنت رهين السجن ، ولم تكتب من قبل بيتاً واحداً من الشعر ، تنظم قصص ايزوب وتنشىء تلك الانشودة إجلالاً لأبولو

فأجاب أنْ حدِّثه ياسيبيس بأننى لم أفكر فى مُنافسته ومنافسة أشعاره ، وحق ما أقول ، لأننى كنت أعلم أن لا قِبَلَ لى بذلك ، إنما أردت أن أرى هل أستطيع أن أمحو وهماً أحسسته عن بعض الرؤى ، فلكم أشارت الى هواتف الأحلام فى أيام الحياة « بأنى سأنشىء الموسيق » وقد كان يطوف بى هذا الحلم فى صور متباينة ، ولكنه لازم عبارة بعينها ينطق بها أو بما يقرب منها دائماً : أنْشِئْ الموسيق وتَعَهَّدْها بالنماء ، هكذا كانت تهتف الرؤيا ، وقد خيل إلى منذ ذلك الحين أنها لم تُرد بذلك إلا أن تحفزنى وتبعثنى على دراسة الفلسفة التى كانت دَوْماً قصد الرمىّ من حياتى ، والتى هى أسمى جوانب الموسيق وأرفعها شأناً ، فكما ترى النظارةَ فى حلبة السباق يهيبون بالمتسابق المتحمس أن يجرى ، مع أنه يجرى فعلاً ، كذلك كانت رؤياى تأمرنى أن أؤدى ما كنت بالفعل قائماً بأدائه ، ولكنى لم أكن على يقين من هذا ، فربما قصَدت الرؤيا بالموسيق معنى الكلمة المعروف ، فرأيت أنى أكون آمنَ ، لو أرضيت هذا الشك ، وأطعت الرؤيا فيما تأمر به ، فأنشأت قبل رحيلى قليلاً من الشعر ، فهذا قضاء الموت يرقبنى ، وقد أمهلنى العيد قليلاً . فكتبت بادىء ذى بدء نشيداً فى تمجيد إلـه هذا العيد ، ثم لما رأيت أن الشاعر الذى يراد له أن يكون شاعراً مبدعاً حقاً ، لا ينبغى أن يحشد ألفاظاً وكفى ، بل لابد له أن ينشئ قصصاً ، ولما لم تكن لدىّ قوة الانشاء ؛ أخذت طائفةً من قصص أيزوب ، ونظمتها شعراً ، فقد كانت مُيَسَّرة سهلة التناول ، وإنى بها لعليم . أنبِئْ أفينوس بهذا ولا تجعله يبتئس ، وقل له إنى أود أن يَتبَعَنى ، وألا يتلكأ إن كان رجلاً حكيماً ، فأغلب الظن أنى مرتحل عنكم اليوم ، إذ قال الأثينيون أن ليس لى من ذلك بد

قال سمياس ـ ياله من نبأ يُحمل لذلك الرجل ! انى أقرر لكم وقد كنت رفيقاً له ملازماً ، أنه ـ كما عهدته ـ لن يأخذ بنصحك إلا مجبراً

قال سقراط ـ ولماذا ؟ أليس أفينوس فيلسوفاً ؟

قال سمياس ـ أحسبه كذلك

إذن فسيكون راغباً فى الموت ، شأن كل رجل عنده روح الفلسفة ، ولو أنه لن ينتزع روحه بيده ، فقد أجمع الرأى على أن ليس ذلك صواباً

وهنا بَدَّلَ فى وضعه ، فأنزل ساقيه من السرير إلى الأرض ، ولبث جالساً حتى ختم الحوار

يتبع

زكى نجيب محمود

في تاريخ الأدب المصري

٢ـ ابن النبيـــه

للأستاذ أحمد أحمد بدوي

ـــ ٣ ـــ

اتصل شاعرنا كما ذكرت بطائفة كبيرة من عظماء عصره، فمدح الخليفة الناصر، أحمد أمير المؤمنين، واتصل بالملك العادل أخي صلاح الدين، واتصل كذلك بالقاضي الفاضل والوزير صفي الدين بن شكر وغيرهم، ولكنه لم يتصل بصلاح الدين، ولعل ذلك كان ناشئاً عن حداثته في ذلك الحين، واستصغار نفسه أن يتصل به، مع أن صلاح الدين كان ممدوحاً للقاضي الفاضل وغيره من كبار رجال العصر. غير أن أوثق الاتصال كان بينه وبين الملك الأشرف الذي أصبح به مختصاً معروفاً، كما عرف المتنبي بسيف الدولة، يسجل له مفاخره، ويحصي ما يناله من الخير والنصر، ويهنئه بالعيد إذا حل العيد، ويصف له القصور إذا بنى قصراً جديداً، وإذا أعان الحجاج سجل له يده، ويظهر أنه قد نال الخير والسعادة على يد الملك الأشرف، وإن كنا نراه في بعض الأحيان يشكو إليه، ويذكر ما قد يصيب علاقتهما أحياناً من الفتور، وذلك ما لابد منه، ولا سبيل إلى التخلي عنه، فهو يقول له:

كم اصطنعت وكم أوليتني حسنا فليس يبلغ أقصى الشكر أدناه
دامت علينا به النعمى وأمنتنا مما نخاف أدام الله نعماه
أرجو لقاك لآمالي ومنزلة فأنت لي سبب، والرازق الله
فأغنني يا ابن ذي المجد العلي وكن لي مسعداً في الذي أرجو وأخشاه

وأحياناً كان ابن النبيه يرسل إليه يطلب حاجة يجعل شفيعها غلاماً جميلاً يستقضي تلك الحاجة، ويحفظ له التاريخ من ذلك أنه أرسل هذا الغلام وكتب معه هذا الدوبيت:

أيقنت بأن حاجتي ليس تضيع مذ قدمها مهفهف القد بديع
في خضرة خده لعينيك ربيع ما أقبح رده وذا الحسن شفيع

وكثيراً ما كان وهو لدى ولي نعمته الملك الأشرف يشتاق مصر ويرسل إلى أهلها السلام، ثم ينتقل إلى المدح، وكأنه يذكر الممدوح بغربته وفراقه وأنه إنما يحمل ذلك من أجله هو، وفي ذلك ما فيه من تكثير لمورد رزقه وإغداق النعمى والهدايا عليه، واستمع إليه يخاطب أهل مصر:

إن عينا منكمو قد ظميت قد سقاها الدمع حتى رويت
آه من وجد جديد لم يزل وعظام ناحلات بليت؟!
ساكني الفسطاط لو أبصرتكم جليت مرآة عين صديت
إن أعاد الله شملي بكمو سعدت آمال نفس شقيت
إن أرضا أنتمو سكانها غنيت عن أن تقولوا: سعيت
فوجوه كرياض أزهرت ورياض كوجوه جليت
بأبي منكم غزال، مهجتي بظبا ألحاظه قد غزيت
بلغيه يا نسيم الريح عن مهجة المشتاق ماذا لقيت

ثم يقول:

إنما مدحة عيسى جنة عندها أوطاننا قد نسيت

فكأنه يقول له اذكر أني مفارق لوطني فكيف أنساه إلا إذا لقيت منك ما يغنيني عن ذكره، ونحن لا نشك في أنه لاقى من الأشرف كل إعزاز وإكبار. وكان الأشرف يعتقد في شاعريته ويثق بها، فكثيراً ما كلفه نظم الشعر على البديهة في أي موضوع يراه، وكثيراً ما قام مقامه في تدبيج الرسائل بالشعر على لسانه، ولقد كانت تلك المنزلة الرفيعة التي نالها مدعاة إلى أن يقول:

أنت قربتني فأغليت قدري أنت خولتني فأغنيت فقري
فليجد من يشا ويبخل من شا فحرام عليه ذمي وشكري

بل كان جمع ديوانه قياماً منه بواجب الشكران وتسجيلاً لليد التي أسداها إليه ـ كما حدثك هو في صدر الديوان

ـــ ٤ ـــ

نستطيع أن نقول إن شعر ابن النبيه يعطينا صورة صحيحة لعصره، يحدثك عن طابعه وعن أهم ما نجم من الأحداث؛ وإذا أنت ذهبت تنقب عن ذلك رأيت أن أهم ما ميز العصر الروح الحربية التي سرت فيه، وروح القتال الذي كان على قدم وساق

كان العصر عصر حرب مشبوبة بين الصليبيين من الأوربيين وبين المسلمين وملوك المسلمين، كما كان عصر نزاع بين بني أيوب على الانفراد بالسيادة والسلطان بعد أن مات كبيرهم صلاح الدين، ومن أجل هذا كان أظهر صفة بارزة يمدح بها شاعرنا ممدوحيه شجاعتهم في الحرب واستبسالهم في المواقع. فهو يقول لمن يمدحه:

مليك إذا سار بين السيو ف ترى البدر بين اشتباك الكواكب
وتزأر من تحت ذاك الركا ب أسود لها من ظباها مخالب

فتلك الهاذم زهر النجو   م ومعتكر النقع جنح الغياهب

ويصف جيش ممدوحه بقوله :

وأسد على جرد لها مثل فعلهم   إذا ما تجلى الموت فى الحلل الحمر
دماء أعاديهم شراب رماحهم
وأجسامهم هدى إلى الذئب والنسر

فاذا شئت أن ترى صورة من صور النزاع بين الأفرنج الذين كانوا يبغون الاستيلاء على مصر قلب الدولة الاسلامية وبدأوا غارتهم بالاستيلاء على دمياط فاستمع إليه يقول :

وتحت غيل القنا آساد معركة   لها ثبات وفى الهيجاء وثبات
مستشرفات بآذان موكلة   لها إلى الثغر من دمياط حاجات
الويل للروم والأفرنج من ملك   له من النصر والتأييد عادات
أين المفر لسرب الروم من أسد   ضار له من رماح الخط غابات
دمياط طور ونار الحرب موقدة   وأنت موسى وهذا اليوم ميقات
ألق العصا تتلقف كل ما صنعوا   ولا تخف من حبال القوم حيات
طأهم بجيشك لا تحفل بكثرتهم   فانهم لبغاث الطير أقوات
أصبتهم بسهام الرأى من حلب   وللمكائد من بعد إصابات
فطهر الله ذاك الثغر من قلح   أصابه ، وانجلت تلك الثنيات
لله من ثغر دمياط وبرزخها   فتح له تفتح السبع السموات
شرحت صدر رسول الله وانحسرت   بنصرة الدين والدنيا غمامات
فللرماح كلاهم أو صدورهم   وللصوارم أعناق وهامات
تخلق البحر ذاك اليوم من دمهم   والموج ترقصه تلك المسرات
عكا وصور إلى رؤياك عاطشة   فانهض فقد أمكنت منهن خلوات
الله أكبر أن تمسى مزامرهم   تتلى ، وتنسى من القرآن آيات

وكثيراً ما كان يؤكد لسيده أنه سوف يهزم عدوه وينتصر عليه ويملك بلاده ، بل وسوف يؤاتيه النصر حتى يملك القسطنطينية عاصمة بلادهم ، ولقد كرر ذلك مراراً ، حتى إنك لتستطيع أن تفهم من هذا التكرار والتأكيدات الكثيرة بأنه سوف يفتح تلك البلاد أن هذا كان فى صدر ممدوحه أملاً قوياً يتمنى أن يناله وأن يتم على يديه ، حتى قال له ابن النبيه :

ستفتح قسطنينة عنوة   وما كان للروم منها بغارب
كأنى بأبراجها قد هوت   وصخر المجانيق فيها ضوارب
وقد زحف البرج زحف العرو   س إليها يجر ذيول الكتائب
وليس الكهانة من شيمتى   ولكن حزبك بالله غالب

وكثيراً ما مناه بهذا الأمل وأكد له أنه سيناله ، كذلك فى شعره صورة حية للنزاع الذى كان بين بني أيوب ، ولقد كان ابن النبيه يؤمن ويوقن بأن الخير كل الخير إنما هو فى اجتماعهم ووحدتهم ، لأن الأوربيين فى ذلك الحين كانوا يهاجمون الشرق ، فمن الخير أن يتحد ملوكه لدرء هذا الخطر عنه ، ولقد كان المغيرون ينتهزون كل فرصة خلاف بينهم ليشبوا نار الحرب عليهم ، ولذلك كان ابن النبيه صادقاً يوم قال متحدثاً عن بنى أيوب أولاد شاوى :

آل شاوى شهر الصيام جلالا   وأبو الفتح منه ليلة قدر
معشر فى وفاقهم كل خير   مثلما فى خلافهم كل شر

وكان يوقن بأن صلحهم واجتماعهم يبعث القوة فى نفوس الشرقيين ، ويبعث الضعف والخوف فى نفوس الأوربيين كما قال بعد صلحهم :

اليوم تصلى صفحات العدا   نيران حرب حرها لافح
اليوم دار الشرك مبذولة   يأوى لها الصائح والنائح
موسى جزاك الله عن دينه   خيراً فما أنصفك المادح
سعيت فى جمع شتات العلا   لله هذا العمل الصالح

وشعره بعد ذلك يحدثك عما أصابه الملك الأشرف من فتوح ونصر فى بلاد الشرق ، هذا وإذا ذهبت تلتمس العلاقة التى كانت بين الأشرف والخليفة رأيت أن الخليفة العباسى كان يتمتع بسلطة روحية كبيرة ، وإن لم يكن له من الأمر شيء فى السلطة السياسية ، فكان الأشرف يحرص على أن تظل العلاقات بينهما قوية متينة ، ويعد مراسلة الخليفة له منة وفضلا كبيرين

ولقد ورد له خطاب مرة من الخليفة ، فطلب من ابن النبيه أن يجيبه فكتب إليه الرد شعراً لأن الخليفة كان أديباً شاعراً :

سيدى سيدى كتابك أحلى   من زلال على فؤادى الصادى
خلت فيه قميص يوسف لما   ألصقته أناملى بفؤادى
كرر اللثم يافمى ، وترشف   منه آثار فضل تلك الأيادى
نعمة سميت كتاباً مجازاً   أنا نبت وهى السحاب الغوادى
كثرت حاسدى حتى تخيلـ   ـت جفونى من جملة الحساد
قالت العين وهى تخرج دراً   فاخراً من بحار ذاك المداد
أنا أفدى بياضه ببياضى   أنا أفدى سواده بسوادى
أنا عبد الأمام أحمد خير   لى من نسبتى إلى أجدادى
فعليه السلام ما غرد الطيـ   ـر وغنى شاد ، ورجّع حاد

وفى الحق أن الأمراء من الأتراك مهما استبدوا كانوا يقرون للخليفة بالسلطة الروحية ولا ينازعونه فيها ؟

(يتبع)

أحمد أحمد بدوى

جيرة محمودة

للأستاذ فخرى أبو السعود

حتّام أنت مجرجرٌ متلاطم   يطوى عبابُك أعصراً وقرونا ؟
ماذا بِىَ يا بحرُ صدرُك لو حَكَى ؟   لـكن أراه بما وعاه ضنينا
متدافع التيار ليلَ نهارَ لا   بالصمت لُذْتَ ولا أراك مُبينا
أبداً تجىء الشطَّ منك كتائبٌ   دَآبَةُ التَّرْدَادِ لَسنَ يَنِينَا
تغزو غواربُها الرمالَ وتنثنى   تغزو من الصخر الأصمّ مُتونا
مُبْيَضَّةَ الأثباج فى تهدارها   يَبْرُزْنَ حيناً فى البياض لحينا
لا عَنْ مَشيبٍ أو سنينَ تصرمت   فلَكَمْ أذابتْ فى الأُجاج سنينا
ولقد يكاد أُجاجُها من حُسنه   يبـــدو فراتاً للظِّماء مَعِينا
البحر فتَّان وإن هو لم يُنِلْ   رِياً ولم يُطْلِـعْ جَوَارِىَ عِينا
إن لم يكن رِىَّ الظِّماء فإنه   بالحسن يروى أنفساً وعيونا
بروائع الالوان فيه تآلفتْ   ونوافح النسمات إذ يسرينا
وَيُرَى مَسَارِحَ للعيون ومَبْعَثاً   للذكريات كموجه يأتينا
كم طالَعَتْهُ الشمسُ ثُمَّ أجَنَّها   سراً وراء عبــابه مكنونا
إنى شهدتُ الشمسَ عند شروقها   من خلف لُجّتِهِ تشعّ جبينا
ورأيتُ مَغرِبَها به وضياؤُها   ملءُ الجوانح لهفة وحنينا
يهوى خضيبُ شعاعِها من أفقها   ويذوب فى لُجَجٍ به يَزْهُونا
والشمسُ أكْرَمُ راحل ودَّعْتُه   أطوى عليه حسرةً وشجونا
وَأحَبُّ مُرْتَقَبٍ لِعَوْدٍ لم يَذُدْ   عن وجهه الوضَّاء مُرْتَقِبِينَا
تَأْتِى وتَذْهَبُ فى لطاف غلائل   متجدداتٍ بهجةً ورُقُونا
هاتيك آياتُ الجَمَال تَخِذْتُها   صَحْبى ونعم مدى الزمان خدينا
وتخذتُ هذا البحر جاراً لى إذا   ما عفتُ جاراً أو مللتُ قرينا
وحمـــدتُ جيرتَه وثرثرةً له   دَوْماً تَدَاوَلُ مَسْمَعَىَّ رَنِينا
يَحْبُو شواطئَه صفاءَ طباعه   ويفيض بشراً دونها وَيَمِينا
أضفى على الثغر الجميـل رُواءه   وكساحياةَ القاطنيـهِ فُتُونا
وجَرَتْ به خلجانُه رقراقةً   وصَـفاً جداولَ حوله وعيونا
فتشابهتْ أوقاته فشتاؤُه   كربيعـهِ لطفاً يَرُوق ولِينَا
متجـددٌ لم يَطْوِ يوماً بادياً   من حُسنه إلا أبانَ كمينا
حُسْنُ الطبيعة فيه زاهٍ كيفما   أجْرَى الزمانُ لساً كِنيه شؤونا
إنْ سَرَّهم بصروفه أو ساءهم   فالحُسْنُ ثَمَّ مَنَاهِلاً وفُنُونا
والحُسْنُ ثَمَّ لِمَنْ بَغَى مُتَعَزَّلاً   عَن طالبى الدنيا وما يَبْغُونا

الاسكندرية   فخرى أبو السعود

وهم الحيـــاة

للأستاذ خليل هنداوى

إننى أعبدُها — فيك — أيها الوهم !
« الناظم »

موِّه علينا بالرُّؤَى   إن الحقيقـةَ تُؤلمُ
ماذقتُ طيبَ العيشِ إلّا عنـــد ما أتوهمُ
صُرى حياةٌ أو انفعى   أنا منك لا أتبرمُ !
فَهمُ الحياة فتًى يجو   زُ كأَنهُ لا يفهم
عبثاً تحاولُ فهمَ لغزٍ فيــه لغزٌ مُبْهَمُ
ما أنتَ أولُ صخرةٍ   يطغَى عليها العَيْلَمُ ...
أنتَ الغنىُّ إذا قنعـ   ـتَ وأنتَ أنتَ المعدمُ
ما أظلمت دنياك ، لـكنَّ اعتقادَكَ مُظلِمُ

خليل هنداوى

زهرتي [١]

بقلم محمود حسن اسماعيل

ولي زهرةٌ طيَّبْتُ من عطرها دَمي
وضمَّخْتُ روحي من شذاها وأنفاسي
على شاطئ من فَيْضِ روحي تفتّحتْ
وراحتْ تَعُبُّ الرِّيَّ من نبْع إحْسَاسي
مكلّلَةً بالنُّورِ تَحْسِبُ وَشْيَهــا
وَميضاً من الصَّهْباء يُشرقُ في كاسِ
تميسُ على قلبي إذا هزَّها الهوى
فتَفْضَحُ بالإدلال ريَّانةَ الآسِ
غذَاها السَّنا من زاخِرِ اللمح فاغتدَتْ
تبَلّجُ في هالاتها .. فتنةَ النّاس
كأني بها نَفْحٌ من الخُلد رَوَّحَتْ
أفاويحُه عني ضَنَى عُمْرِيَ الآسي [٢]
بروحيَ من أنفاسها عطرُ جَنَّــةٍ
تراءتْ بحُلْمٍ رائعِ الطّيْف ميَّاسِ
وأنداء فجْرٍ أسْكر الروح نَسْمُهُ
وطهَّرَ بالأعطار إثمي وأرجاسي !
بروحي حَنانٌ شعَّ من جنَباتها
كما فاض في جُنْح الدُّجى ضوء نبراسِ
رشفْتُ نعيمي نَشقةً من عبــيره
وشرَّدْتُ آلامي على نفْحِه الآسي !!

(١) من ديوانه « أغاني الكوخ » الذي صدر حديثاً (٢) الحزين

٧ — بين القاهرة وطوس

نيسابور الى طوس

للدكتور عبد الوهاب عزام

رجعت من مزار العطار الى قبر الخيام وأنا أنشد قول حافظ الشيرازي :

« جاء مرشدنا البارحة من المسجد الى الحانة . . » [١]

ولما رجعنا الى قبر الخيام قال بعض الحاضرين من الشرقيين كيف تركتم الخيام الى العطار ؟ قلت لكل رجل وجهته ، وإن لم يكن من القياس بد فصاحبنا أعظم من صاحبكم ، وأكرم حياة ، وأجل أثراً . فانصرف ثم عاد اليّ وهو يقول : ليس أحد من المتأدبين في الشرق والغرب يجهل الخيام ، وهذا أحد الوافدين من الأوربيين يسأل مَن العطار ؟ فهذه حجة لي ، قلت دعني فاني لا أقيس عظماءنا بمعرفة الأوربيين وجهلهم ، ومدحهم وذمهم الخ

دُعينا الى الموائد فطعمنا ، وتكلم الشــاعر الانجليزي درنكووتر عن الشعراء ومذاهبهم في الحياة وقال : إنه لا ينبغي أن يفضل شــاعر على غيره بصواب رأيه ، وسداد طريقته ، بل بمقدار إبانته عما أحسه في هذه الحياة ، وأدركه في هذا المعترك ؛ نحن لا نستطيع أن نقتدي بالخيام فنمضي أوقاتنا بين امرأة جميلة وكأس ، وعود ، فان علينا في هذه الحياة واجبات تأبى ذلك ، ولكننا لا ننقص من قدر الخيام لأنه أبان عن رأيه بهذا الأسلوب الشعري الجميل الخ

ثم أنشــد قطعاً من رباعيات الخيام كما ترجمها فيتز جرالد ؛ وأنشد أحمد الصراف مندوب العراق بالفارسية بعض الرباعيات ، وتكلمت فقلت بالفارسية : إننا مغتبطون بقدومنا مدينة نيسابور العظيمة ، ذات الأثر العظيم في الحضارة الاسلامية ، وها نحن أولاء بجانب الخيام الفلكي الشاعر الكبير ، فالى روحه الطاهرة منا تحية ودعاء . ولا ننسى أن نرسل تحيتنا الى الشاعر العظيم ، والصوفي الجليل فريد الدين العطار ، ذي المآثر الخالدة في الشعر والتصوف

(١) شب أز مسجد سوى ميخانه آمد پيرما

وإنا لنرجو أن تعود هذه البلاد سيرتها الأولى فى العلم والأدب ، وأن ييسّر الله لها السير فى سبيل الرشاد فى ظل صاحب الجلالة الشاه المعظم . .

فقام الأديب سيف آزاد صاحب مجلة إيران القديمة « إيران باستان » فتكلم وحيّا صاحب الجلالة ملك مصر ، وقال إنه قد ساءه أن علم اليوم أن جلالته مريض ، وطلب من الحاضرين أن يدعو له بالشفاء والعافية . وألقى الأديب رشيد الياسمى قصيدة من الضرب الذى يسمى فى عرف أدباء الفرس غزلاً . وهى مردوفة القافيـة . والرديف فى الشعر الفارسى أن تكرر كلمة بعينها آخر كل بيت ، ويبنى الروى على الكلمة التى قبلها . والرديف فى قصيدة الياسمى كلمة « رو » بمعنى الوجه . وهذه ترجمة القصيدة عفو الساعة :

قد استتر وجهك فى كمال الظهور ، وصار من التجلى فى حجاب من ذلك النور

لا يرى أحد فى العالم وجهك ، وإن كان العالم مرآتك

إنى أدعوك حبيب الروح ، إذ لا يتجلى وجهك إلا فى عالم الأرواح

ولّ وجهك شطرنا ، نحوّل عن الكون والمكان وجوهنا .

أيها الربيع لا تستر من العندليب خدّك ، فقد جعل وجهه كورق الخريف هجرك

فلا حرارة فى هذا القلب المتوقد ، ولا بسمة فى ذلك الوجه المورّد

لقد أمضيت العمر فى انتظار وحسرة ، وآمل أن يلوح وجهك لى مرّة

أيتها الشمس إنى من الشوق إلى شعاعك الوضاء ، أقلب كالهلال وجهى فى السماء

أبتغى أثراً من هـذا الوجه ، ولا أثر ، كما ابتغى اسكندر ماء الحياة فلم يظفر

إن تبشرنى بوجهك يوماً واحـداً ، وضعت وجهى على عتبتك أبداً

ان تطلب يا رشيد الكنز فانصب ، فان السعادة لا تبدى وجهها لمن لم ينصب

قدّمنا الساعة خمساً وعشرين دقيقة ، وهى فرق ما بين وقت طهران ونيسابور ، وركبنا والساعة ثلاث وربع بعـد الظهر متوجهين تلقاء مشهد وبينها وبين نيسابور ١١٦ كيلاً ، فسرنا صوب الشرق والجنوب فى سهل كثير القرى والشجر ، فبلغنا قرية اسمها قدمگاه أى موضع القدم ، وسأذكرها فى الأوبة من مشهد . ثم اجتزنا بشريف آباد وعندها انعطفت الجادّة صوب الشمال فارتقينا جبالاً ضربنا فيهـا أربعين دقيقة ثم هبطنا إلى المشهد المقدس ، فدخلناه بعد مغرب الشمس

افترق الركب فنزل جماعة بفندق هناك ، ونزل آخرون فى دار أحد الكبراء ، جليل بك نصير زاده ، وكنت وزميلى الأستاذ العبادى ممن شرفوا بالنزول فى هـذه الدار المعمورة ، فلقينا من الحفاوة والرعاية ما لا يُنسى

المشهد المقدس

فى عام اثنين وتسعين ومائة سار هارون الرشيد إلى خراسان لحرب رافع بن الليث بن نصر بن سيار ، وكان قد ثار بخراسان وأعيا الولاة

وفى صفر من سـنة ثلاث وتسعين اشتد به المرض وهو بجرجان فسار عنها إلى طوس ، ونزل بضيعة اسمها سناباذ فى دار الجنيد بن عبد الرحمن . فلمـا أحسّ أجله أمر فحفروا له قبراً فى بستان الدار ، وأمر جماعة فنزلوا فيه وقرأوا القرآن . وتوفى نصف الليل ، ليـلة السبت لثلاث خلون من جمادى الآخرة ، ودفن فى القبر الذى أعده

وفى سنة ثلاث ومائتين كان الخليفة المأمون بن هارون قافلا من خراسان يريد العراق ، وقد ثار عليه عمه ابراهيم بن المهدى ، فلما بلغ سناباذ نزل عنـد قبر أبيه أياما ، وكان معه علىّ الرضا بن موسى الكاظم ولىّ عهده ، فمات الرضا فى ذلك المكان فى شهر صفر ، فدفن إلى جانب الرشيد . وفى هـذا يقول دعبل بن على الخزاعى فيما يزعم الرواة :

قبران فى طوس: خير الناس كلهم   وقبر شرهم ، هذا من العجب

اشتهرت قرية سناباذ وسميت سـناباذ المشهد ، ثم أطلق « المشهد » على القرية ، وبهذا الاسم ذكرها المقدسى وسماها

ابن بطوطة مدينة مشهد الرضا ، ونسيت على مر الزمن مدينة « نوقان » وصار اسمها اسم محلة فى المدينة الجديدة ، ونافست مدينة المشهد مدينة طوس فى إقليم خراسان حتى أخملتها . ثم اختفت طوس حين حاصرها ميرانشاه بن تيمور وفتحها فأخربها عام ٧٩١

وقد لقيت المدينة من غير الزمان سعادة وشقاوة ، وتقلبت بها أحوال مختلفة ، ولكن شأنها كان يزداد نباهة على مر العصور

عنى عظماء المسلمين منذ القرن الرابع الهجرى بمشهد الرضا والمدينة التى نشأت حوله . قال ابن الأثير فى أخبار السلطان محمود بن سبكتكين الغزنوى : « وجدد عمارة المشهد بطوس ، وكان أبوه سبكتكين أخربه . وكان أهل طوس يؤذون من يزوره ، فمنعهم من ذلك . وكان سبب فعله أنه رأى أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام فى المنام وهو يقول له : الى متى هذا ؟ فعلم أنه يريد أمر المشهد فأمر بعمارته » ثم بنى ابنه السلطان مسعود سوراً حول المشهد ليقيه غارات القبائل المجاورة . وفى القرن السادس الهجرى استولى الغز على المدينة ونهبوها ولكنهم أبقوا على مشهد الرضا . وكذلك نهبت فى القرن الثامن فى عهد السلطان محمود غازان من الملوك الايلخانيين

وأعظم الملوك عناية بالمشهد قبل عهد الصفويين السلطان شاهرخ بن تيمورلنك (٨٠٩ — ٨٥٠) وزوجه جوهر شاد ؛ وسنذكرها حين الكلام على مسجدها العظيم

وكان عهد الصفويين عهد نماء وازدهار للمدينة ، فقد تنافس الملوك الصفويون فى تعمير المشهد وتجميله ، وتعمير المدينة كلها ، ولاسيما الشاه طهماسب الأول (٩٣٠ — ٩٤٨) والشاه عباس الكبير (٩٩٥ — ١٣٠٧) ، ولكن عناية الصفويين لم تكفها الغارات والنهب ، فقد غصبها أمراء الأزبك والشيبانية ثلاث مرات على رغم الصفويين وسيطروا عليها أزمنة مختلفة

وكذلك استولى عليها الأفغان حينما استولوا على إيران . ثم جاء البطل الكبير نادر شاه ، فأكثر الأقامة فيها واختط قبره بها ، وبنى فى المشهد الرضوى أبنية رائعة . ثم عادت إلى الأفغان حينما زلزلت دولة نادر شاه بتنازع خلفائه على العرش . وتداولتها حوادث أخرى حتى استولى عليها آقا محمد خان القاجارى ، وقتل سلطانها شاهرخ الأفشارى سنة ١٢١٠ . وفى العصر الأخير ثار بها على القاجاريين بعض الثائرين فتذرع الروس بهذا إلى الاستيلاء عليها ، فأطلقوا مدافعهم على المدينة فى ٢٩ مارس سنة ١٩١٢ ، وهى الآن تنال نصيبها من العمران والطمأنينة السائدين فى إيران اليوم

والمدينة على ارتفاع ٩٣٠ متراً وطولها ٥٩ وعرضها ٣٦ ، فى وادى كشف رود (نهر كشف) الذى ينبع على عشرين كيلاً إلى الشمال الغربى من طوس ويسمى أحياناً آب مشهد (نهر مشهد) ويصب فى نهر هراة (هرى رود) على ١٥٠ كيلاً إلى الجنوب الشرقى من مشهد ، وتبعد المدينة عن شاطئه سبعة كيلات إلى الجنوب . ويبلغ ارتفاع الجبال عندها ثلاثة آلاف متر . فهى باردة الشتاء ، جيدة الهواء .

ونهر كشف لايسقى المدينة ، بل يأتيها الماء من عين اسمها چشمه گلاس عند منبع نهر كشف فى قنوات طولها ٧٤ كيلاً جرّها إليها الوزير الكبير والأديب العظيم والشاعر المفلق شير على نوائى وزير السلطان حسين بن منصور بن بايقرا من أحفاد تيمورلنك — (المتوفى سنة ٩١٢ هـ)

وهى أكبر مدن خراسان اليوم ، وتسمى أحياناً خراسان وسكانها زهاء سبعين ألفاً وتجارتها رائجة ، ولكنها ليست كعهدها الأول ، فقد كانت ملتقى طرق القوافل قبل أن يستولى الروس على التركستان وينشئوا سكة الحديد القزوينية . وبالمدينة شارعان عظيمان مشجران يخترقانها . وكان بها فى عهد نادر شاه ٦٠ ألف دار . وسكانها الآن زهاء ٨٠ ألفاً

وهى كثيرة المساجد ، والمدارس بها زهاء عشرين مدرسة للعلوم الدينية ، أقدمها المدرسة التى أسسها شاهرخ فى سنة ٨٢٣ ، ويقصدها الطلاب من أرجاء إيران ومن أفغانستان والهند ، فيحصلون العلوم الدينية بها تسع سنين ، ومن شاء أن يزداد علماً توجه إلى النجف الأشرف

ويحج إلى المشهد كل عام آلاف كثيرة يختلف التقدير فيها من ٣٠ ألفاً إلى مائة ألف . وبها مقابر كثيرة يحرص الشيعة على أن يدفنوا بها ، فتنقل جثثهم إليها من الأقطار البعيدة ، وتختلف قيمة القبور بها على قدر قربها من الحرم وبعدها

القصص

من الأدب السويدي

الدوار المســــحور

Der verzauberte Hof

للقصصية السويدية سِلما لاجرليف

Selma Lagrloef

ولدت السيدة سلما لاجرليف فى ٢٠ نوفبر سنة ١٨٥٨ بمدينة ماريباك من أعمال فرملاند ، واشتهرت بأقاصيصها القيمة ، ونالت جائزة نوبل فى الآداب لسنة ١٩٠٩ ولا تزال حية

كلما تحدثت عن « بلاد القير » والناس الذين يعيشون فيها ، مر بخاطرى حكاية قديمة لقروية خرجت صباح يوم إلى المرعى لتحلب أبقارها . ولما لم تجد الأنعام فى المكان الذى اعتادت الوقوف فيه منتظرة إياها ، اضطرت الى أن تتوغل فى الغابة باحثة عنها . غير أنها ضلت الطريق

وكانت القروية قبيل أن تخرج من دارها قد ضاق صدرها فلما لم تجد الأبقار ساءت حالها . وبينا هى تشق طريقها بين الأعشاب والحشائش والثمام باحثة عن بقرها ، كانت تفكر فى حياة السأم التى تحياها ، وأنه لا أمل مطلقاً فى تبديلها . نعم ، إنها تميل كل الميل الى زوجها ، ولكنها أبصرت أن زوجها لم يبق له صبر على العمل إذ تقدم سنه ، كما تقدمت هى أيضاً فى السن . وهى بطبيعة الحال تميل الى مزرعتها ، فقد ولدت فى كنفها وشبت ، ولكن ليس لها أن تغمض عينيها على صغرها وقيمتها التى لا تشرف . ولا يمكن مقارنتها بالمزارع الواسعة الفخمة الواقعة هنالك حول الكنيسة . ويزيد على ذلك أن مزرعتها تقع فى قلب الغابة حتى أن الانسان لا يرى طوال الأسبوع آدمياً غير من بالدار . أما هؤلاء الخدم فهى لا تريد أن تنسب إليهم ما لا يشرفهم ، ولكن الله يعلم أنهم كانوا كسالى مهملين الى حد فيه الكفاية

وعند ما استيقظت فى ذلك النهار قالت لزوجها إنه لابد لهما من بيع هذه المزرعة التى تقع وسط الأحراج ، وأن يستبدلا بها أخرى توفر لهما معاشهما دون كبير مشقة ولكنه لم يرغب فى الأستماع إلى شىء من هذا . وذلك ما أغضبها إذ الحق كان دون شك فى جانبها

وفجأة تبينت أن ذلك ماكانت تخشاه دائماً منذ أيام صباها . وكذلك كانت تخشى وقوع هذا الأمر . ولما كانت هذه الأفكار المحزنة هى رفيقتها الوحيدة فى تسيارها ، فقد نسيت بتاتاً اتباع علائم الطريق أوتتبع الأثر ، حتى أصبحت لا تعرف المكان الذى وجدت به ، ورأت أمامها شجرة من البلوط خيل اليها أن لها بها سابق معرفة ، ولكن شجرة البلوط تلك كانت فى أعماق الغابة ، ولا يمكن أن تكون قد قطعت فى تجوالها كل هذه المسافة . وانصتت إلى أصوات البقر أو صوت نداء راعيها . ولكنها لم تسمع إلا سقسقة العصافير

وجلست على صخرة ووضعت يدها فوق عينيها . ولكن ذلك لم يفدها شيئاً ، إذ أن قلبها كان ينبض بشدة ، وانتابتها أفكار شاردة أفزعتها . فقد سمعت من قبل عن أناس ذاقوا الأمرين فى هذه الغابة ، وضلوا الطريق فيها أياماً وأسابيع ، وقد وجد أحدهم ميتاً

وهى عند علماء الشيعة فى المنزلة السابعة بين الأماكن المقدسة : مكة فالمدينة فالنجف فكربلاء فسامرا فالكاظمية فالمشهد . وفى رواية أخرى أن الترتيب بعد كربلاء هكذا : الكاظمية فالمشهد فسامرا فهى السادسة ، ولكنها من حيث كثرة الزائرين واتساع المسجد وضخامته تكون بعد مكة والمدينة ، وقبل المزارات الأخرى فيما أظن

والكلام عن الحرم الرضوى فى المقال الآتى إن شاء الله

عبد الوهاب عزام

ولم تطق القروية صبراً على الجلوس هادئة حتى تتبين معالم الطريق ، فقامت لساعتها تضرب فى الغـابة من جديد دون أن تفكر بعد هذا فى البحث عن الأبقار ، بل اتجه تفـكيرها إلى البحث عن الطريق المؤدية الى دارها

وبعد أن سارت طويلا دون أن تدرك أين هى ، انبثق النور فجأة وتفتقت أمامها الأشياء وتجلت ، إذ أخذت الغابة نهايتها ، وتبينت قبالتها (دوّاراً) فخماً لأحد الريفيين

وما كادت تلمحه حتى وقفت مبهوتة . إذ هى تعرف عن يقين أنه لا يوجد فى هذه المنطقة دوار آخر غير الذى تملكه . وما رأته الآن لن يكون إلا سراباً وصورة كاذبة .

هذا أسوأ شىء رأته ، فقد سحر عفريت الجبل أعينها . ولم تبحث عن دوار الجن ولم تجسر على النظر إليه ، ولـكن أعينها امتدت دون ارادتها إلى ذلك البناء الذى لم تر قط أبدع منه . لقد كانت الدار حقاً قديمة ولـكنها مدعمة متينة . وكانت المخازن والأهراء عديدة فسيحة إلى حد أنها تكفى قرية بأكملها

قالت لنفسها : « أنه مع ذلك لا شىء هنالك يخالف ماعندى ، اللهم إلا أن هذا أجمل وأعظم أضعافاً مضاعفة . نعم ، إن عفريت الجبل لايهمه الثمن . وقد يخيل إلى أن هذه الدار مشيدة من أشجار البلوط . وإذا لم أكن قد سحرت وكانت عيناى تتبينان الأشياء على حقيقتها ، فلن يبقى من كل هذه العظمة غير كومة من النمل »

ثم رجعت ثانية الى الغابة ، وكانت تتسلق هضاباً صعبة المرتقى وتنزل غيرها وعرة المنحدر ، ومع ذلك لم تجـد طريقاً ، أو علامة الأميال ، أو كوخاً ينشر فيه الخشب ، حتى ولا منحدر ماء يصح أن يكون نجماً تهتدى به فى طريقها . وكانت تسير وكأنها فى قاع بحر خضم اخضر لونه . قالت فى نفسها : « هنا وجب علىّ المسير حتى تعمنى موجة خضراء وتطوينى ضمنها »

وفيما هى سائرة إذا بها قد وصلت فجأة الى طرف الغابة مرة أخرى . ورأت ثانية نفس الدار الفخمة

وهنالك تلك الدار . وعلى نوافذها ستائر بيضاء ، ويتقدمها بضع أشجار من التفاح منبثقة . وكانت مدهونة بدهان أحمر جملها تتألق فى الزينة ، حتى لـكأنها مشتعلة وسط البقعة الخضراء كشرة السعادة فى ليلة صيف على طريق أخضر يفصل حقلين

وكانت فى هذه المرة قريبة منها لدرجة مكنتها من رؤية كل شىء فيها . وكانت آلات الحرث والزرع والعربات موضوعة فى مخازنها ، كما كانت الأخشاب مصفونة صفاً . وكانت العربات تسير دون التواء بين الحقول . وكانت الخيول القصيرة الجميـلة القوية البناء الممتلئة كالتى تتمناها ، ترعى فى المراعى التى تأثرت بالصقيع

وكلما أنعمت النظر فى كل شىء فيها أثار ذلك إعجابها ، وقالت فى نفسها : « أى ، لو أن هذا الدوار الريفى لى ، للذ لى المقام فيه ؛ نعم إنى أراه منعزلاً بعض العزلة غير أنه جميل للغابة ، ومن أمامه البحيرة ومن خلفه الجبل »

وقالت فى نفسها : « ذلك الرجل الذى يسير الآن بين مبانى ذلك الدوار الريفى ليخرج الخيل ، لاشك أنه صاحب المزرعة ، ولم أر فى يوم ما من أيام حياتى رجلاً سمهرياً قوياً مثله »

ولـكن فرحها الأعظم كان بقطيع البقر الذى خرج تواً من الغابة ووقف عند طرفها

وقالت فى نفسها : « هذه الأبقار مسحورة ، لايشك فى ذلك كل من يراها . ضرع طويل وحوالب متوازية . وجميعها ذات لون أحمر كالجمر ، إن حلب مثل هذه الأبقار لهو الفرح بعينه . . . كم لتراً من الألبان تدر هذه الأبقار يا ترى ؟ »

وشعرت بأن ذلك الأغراء يتزايد عندها ويدفعها الى التقدم نحو البقر المسحور لتحلبه ، ولترى ذلك الدوار الريفى الفخم ، الذى نسق كل شىء فيه أحسن تنسيق . وتشككت فى ضعف طبيعتها . وأخيراً تقدمت نحو الدوار المسحور

ولما وصلت إلى حيث وجدت البقر مستلقيا على الأرض استقبلها بخوار من الفرح . ووقفت لتراه ، فتقدمت قائدة البقر ووضعت خيشومها فى يدها كأنها اعتادت أن تجد شيئاً من لذيذ الطعام فى هذه اليد

فأدركت أن هـذه الأبقار لا يمكن أن تكون إلا أبقارها . لقد ميزتها من جديد وهى تعرف اسم كل منها

ولـكن كيف يتفق هـذا وذاك ؟ كيف يصح لأبقارها أن تنام عند طرف هذا الدوار الريفى المسحور ؟

وفى نفس اللحظة انفتح باب الدار . وخرجت منه بنت صغيرة ذات شعر ذهبى مسترسل ، وكانت مرتدية جلباباً أزرق مفوّفاً

[البقية على صفحة ١١٤]

من روائع الشرق والغرب

الوحـــدة

L'isolement

لشاعر الحب والجمال لامرتين

استسلم لامرتين بعد فجيعته فى حبيته (چوليا) الى الهم ، واستأنس بالوحدة ، واستكان للعبرة ، وخلا إلى الحزن فى خلوات (ميلى) ومن هناك بعث إلى صديقه (ڤريو) بهذه القصيدة فى ٢٤ أغسطس سنة ١٨١٨ وهى :

جلست محزون القلب ، مستطار اللب ، على قُلَّة الجبـل ، وتحت ظُلَّة السنديانة العتيقة ، أشيِّع شمس النهار وهى تغرب ، وأسرِّح بصرى فى وجوه السهل وهى تتغير

* * *

فهنا النهر صخاب الموج ، جيـاش الزَّبد ، ينساب فى جوف الوادى ، ثم يضل فى ظلام البعد ! وهنـاك البحيرة راكدة السطح ، راقدة الماء ، تتراءى فى جوانبها نجوم الليل !

* * *

والشَّفَـق لا يزال يلقى على رءوس الجبال الشجراء ومْضاً من شعاعه ، وملك الليل قد أخـذ يصعد إلى عرش السماء فى محفته الندية ، فأشرقت جوانب الأرض ، وازدهرت حواشى الأفق

* * *

وناقوس الكنيسة القوطى قد أخذ يقرع الهواء برنينه الدينى ، فكف الفلاح عن العمل ، ووقف السائر عن المسير ، واختلطت هذه الأرانين المقدسة بما بقى من ضوضاء النهار وصخبه !

* * *

ولـكن نفسى كانت من كل هـذا خليَّة ، فما تبعث فيها هذه المناظر الجليلة ، ولا تلك الصور الجميلة ، نشوةً ولا بهجة ! لقد كنت أتأمـــل الأرض وكأنها ظل منتقل أو خيال طائف !

إن شمس الأحياء لا تدفئ الموتى!

* * *

فكنت أنقـــل عينى من الرُّبى إلى الجبال ، ومن الجنوب الى الشمال ، ومن ظلمة الغسق الى حمرة الشفق ، وأنفض(١) السهل والوعر ، والمأهول والقفر ، عسى أن أجد لنفسى سعادة فى مكان ، أو أتوسم لقلبى راحة فى انسان ، فلا أعود بطائل !

* * *

وما تصنع لى هـذه الوديان والأكواخ والقصور ، مادمت لا أجد لجمالها فى عينى روعة ، ولا لسحرها فى قلبى فتنة ؟ ؟

أيها الأنهار والأحجار والغـــابات والخلوات العزيزة علىَّ : ! إن غيبة مخلوق واحد من ربوعكن جعل عامركن خرابا ، وردَّ أنسكن وحشة ! !

* * *

سواء علىَّ أتطلع الشمس أم تغرب ،

(١) نفض المكان : نظر الى كل ما فيه ليعرفه

وتصحو السماء أم تغيم ، ويظلم الليـل أم ينير الصبح ، فليس لى بغية فى اليوم ولا رجيّة فى الغد

* * *

وحينما أرسل عينىّ تتبعان الشمس فى مدارها الرحب القصى ، لا أبصر فى كل مكان غير الفراغ والخلو ! لا حاجة لى إلى من تظله السماء ، ولا رغبة لى فيما تنيره الشمس !

* * *

ولـكنّ من وراء هـذا الفلك الدائر وهذه الشمس الساطعـة أمكنة أخرى تسطع فيها الشمس الحقيقية ! فلو أتيح لنفسى أن تخلص من قفصها لرأت فى تلك السموات حبيبها الذى طالما بكت عليه ، وحنت إليه !

* * *

هنالك أنتشى من رحيق الغبطة ، وأظفر بالأمل والمحبة ، وأنعم بما تاقت اليه نفسى من مُتَع لا تمر على سمع ولا تدور بخلد

* * *

ما أعجزنى أن أطير اليك وأنا مثقل بقيود المادة ، خاضع لجاذبية الأرض ! ! وليت شعرى لماذا قضى الله أن أبقى إلى الآن فى أرض المنفى وما تربطني بها رابطة ، ولا تصلنى بأهلها صلة ! !

* * *

إذا ما ذوت الأوراق فى المرج ، وأسقطها قَرّ الخريف فى الوادى ، هبت عليها الشمال فذهبت بها أباديد ! وأنا بهذه الأوراق الذابلة أشبه ! فاحمليني أيتها الريح كما حملتِها ، وانثريني فى وجوه الفضاء كما نثرتِها ، فما بعد الصباح إلا المساء ، وما بعد اليأس والوحدة إلا الفناء !

الزيات

من الأدب الهندى

للشاعر الهندى خسرو الدهلوى

ارتفع العُقاب من الصخر الى الأوج ، ينفض للصيد جناحه ويصيح ، وأعجب ببسطة جناحه وقال : وجه الأرض اليوم تحت جناحى الصوال ، أين فى العالم نِدّى فى هذا الفضاء ؟ ما النسر وما السيمُرْغُ والعنقاء ؟ هأنذا أطير فى الأوج وينفذ بصرى الحديد ، الى الشعرة فى قاع البحر البعيد ، ولا تتحرك ذبابة على اليبس إلا بصرت باضطراب جناحها . وتمادى به العُجب ولم يخش القضاء ، فانظر ماذا فعل به فلك السماء : صوب اليه قوساً من الـكمين ، فأنفذت فيه سهم القضاء المتين ، أصاب السهم القاتل جناح العُقاب ، فهوى من الأوج الى التراب ، وقع على الأرض يضطرب ، اضطراب السمكة ويتحب ، ثم أدار عينه ذات اليمين وذات الشمال ، فبلغ منه التعجب وقال : أنىّ لقطعة من الخشب والحديد ، هذه الحدةُ والسرعة والطيران البعيد ؟ فلما أنعم النظر فى سهم العذاب ، رأى عليه ريش عقاب ، فقال : ممن نبكى ولمن نشكو آلامنا ، ومن أنفسنا هذا الذى أصابنا ؟

وله أيضاً

طلبت أذنى اسمك فى كل مكان ، وتحرت عيني وجهك فى كل ناحية ، وضربت برأسى كريح الصبا فى كل باب وجدار ، إذ ذهب وردى الضاحك وبقيت رائحته

الشاعر الهندى بيدل

إنما يأسرنا إحسان المنزهين عن الأغراض ، فان شئت أن تصطادنا فانثر حبك بعيداً من الشباك

من الأدب الفارسى

للشيخ سعدى الشيرازى

الملك حارس الرعية وإن تكن له الدولة والصـولة ، فليس القطيع من أجل الراعى ، ولـكن الراعى لخدمة القطيع

وله أيضاً

ياطائر السَّحر تعلم العشق من الفراشة . قد احترقت وماتت ولم يُحس لها صوت . هؤلاء المدعون لاخبر عندهم فى طلبه ، أما الذين عرفوا الخبر ، فلم يعرف لهم أثر

لمولانا جلال الدين الرومى

كان رجل يُسر الى داره كل حين أن لا تسقطى قبل أن تنذرينى . فانقضت الدار ليلة عليه بغتة . فقال : كَثُر ما أوصيتك ، وشدّ ما حذرتك ! ألم أقل لك أنذرينى قبل أن تنقضى لأفرغ بيالى ! ما أخبرتنى أيتها الدار الغادرة ! فأين حق الصحبة الطويلة ؟ لقد سقطت وأصبتنا بشر المصائب !

أجابت الدار مفصحة : كم كم أنذرتك ليلاً ونهاراً ! كنت كلما فسخت من الصدوع فما ، أن قد نفدت طاقتى وجاء الوقت فخذ حذرك ، دعاك الحرص إلى أن تسد فمى بالطين ، فلم تدع لى صدعاً يبين ، كلما فتحت فما فى جدار : أخرسته على بدار ، فلم تدعنى أنبس ، فماذا أقول أيها المهندس ؟

للفخر الرازى

ما حُرم قلبى العلم ساعة ، ولم يبق سر إلا كشفت قناعه ، فكرت اثنتين وسبعين سنة نهاراً وليلاً ، ثم علمت أنى ما علمت شيئاً

لابن سينا

تداولت مشكلات العالم بالحل ، من تحت التراب إلى أوج زحل ، ولم تأسرنى القيود والحيل ، فحللت كل عقدة إلا الأجل ! (١)

عبد الوهاب عزام

(١) القطع المتقدمة كلها مترجمة عن الفارسية

الدوار المسحور

[بقيه المنشور على صفحة ١١١]

حافية القدمين . هذه كانت ابنتها . ففتحت باب الحاجز ، وأخذت الطفلة بين ذراعيها وضمتها إلى صدرها ، وقالت لها : « إنك طبعاً ابنتى ، ولكن لمَ أنت هنا ؟ »

وقالت الطفلة : « إننى طبعاً هنا حيث يجب أن أكون . »

ووقفت القروية حيرى لا تعى شيئاً . وفى تلك الأثناء بدأت الطفلة التى لا زالت بين ذراعيها تمسح بيدها شعر أمها وتصففه . وبدأت ترفع قناع الرأس الذى انحدر إلى العنق . ورأت أن أمها ليست كما كانت عليه من تألق وانشراح . ولكن العقدة انحلت وأصبح قناع الرأس فى يدها

وقالت الأم : « انتظرى قليلاً ، أديرى هذا الرباط على وجهه الآخر قبل أن تعقديه ثانية . »

وظنت أنها بهذه الوسيلة قضت على كل الخيالات التى انتابتها ، كما كانت هذه وسيلتها من قبل . وفجأة رأت الضالة أين هى

فهى فى دوارها الذى تملكه . هنا حيث ولدت وشبت ، ولكن الشيطان قد مسها قبلاً إلى حد لم تعرف معه دوارها

ووقفت والطفلة على ذراعيها ترمى بنظرها إلى ما حولها ، لا ، إن هذا الدوار الريفى جميل وعظيم جداً إذا ما نظر إليه المرء باعتباره أجنبياً عنه . الآن عرفت أن لا مثيل له فى تلك المنطقة ، وكانت تريد تركه . إن كل ما عداه أصبح بغيضاً لها !

وارتأت أن لا بد من الذهاب إلى زوجها ، وأن تحدثه بكل ما جرى ، ولم تقبل ابنتها مفارقتها ، وكانت كأن الزوج والطفلة قد التقيا بها بعد فراق طويل

وقال الزوج : « على الأقل ليس هذا السحر الذى مسك بالسحر البغيض . وقد يستفيد الغير فائدة محققة لو أنه وقع لهم مثل هذه الحوادث . أنظرى الآن ، إنك لم تدركى من قبل ما فى دارك هذه . عليك أولاً أن تجوبى العالم وتضلى الطريق مرات عدة حتى تنظرى بمثل هذه العين وتدركى قيم الأشياء على حقيقتها

فقالت القروية : « نعم ، الحق معك ، ومن الحسن أيضاً ألا يضل المرء كثيراً لدرجة يتعسر عليه معها الأهتداء الى داره . »

عربها عن الألمانية

من هنا ومن هناك

الشعر الغنائي عند العرب وعند الإيسلنديين

نشر الدكتور ج . أيستروب J. Oestrup المستشرق الكبير بحثاً ممتعاً في الموازنة بين الأدب العربي قبل الاسلام وبين الأدب الأيسلندي في جاهليته ، أي قبل الغزوات الشمالية . ولخص الدكتور نتيجة هذا البحث في مقال نشره في مجلة (جاتس دانسك مجزين الدانمركية) Gads Dansk Magazin وهاك خلاصة رأيه :

يرى الدكتور أن هناك مشابهة قوية بين الأدبين : في الالهام والعواطف وطرق الأداء . ومن الواضح أنه لم يقع اختلاط بين الشعبين في تلك العهود ، إلا أن الدكتور يعزو ذلك التشابه إلى الأحوال الجغرافية التي فرضتها الطبيعة على الشعبين ، وإلى الحياة الاجتماعية المماثلة التي نشأت عن تلك الأحوال : فايسلندا Islande كانت في عزلة عن العالم بالمحيط الأطلسي ، وبلاد العرب كانت كذلك معزولة بالبحار والصحارى ، ومن ثم كان الشعبان يحييان حياة محصورة ، ويعيشان عيشة قبلية مستقلة ، كل فرد فيها مستقل في حياته الاقتصادية عن الآخر

والطبيعة في كلا البلدين وعرة قاحلة تجعل جهاد العيش شاقاً مرهقاً ؛ وأشد المشابهات وأعجبها بين الأدبين يرجعها الدكتور إلى الفخر والزهو اللذين يتميز بهما أفراد الشعبين ، ويرى أن هذا الاعتداد بالنفس أثر من آثار الانعزال والاستقلال ؛ وانعدام الحوادث الاجتماعية الكبيرة من بيئتهم جعل الأعمال الفردية الضئيلة في نظر أصحابها أساسية جليلة

والهجاء عند قدماء الأيسلنديين والعرب فاحش مقذع ، ولكنه شكل ثانوي لأدب شخصي بطبعه لأدب أخص صفاته أنه شخصي لأنه صدر عن قوم شخصيين انطووا على أنفسهم واستمدوا من عواطفهم . والشعر الغنائي على عكس الشعر القصصي يعبر عن آلام النفس وسرورها ، وهذا الألم وذلك السرور لهما أثر كبير في تلك الحياة الأولية الساذجة . وبين هذا النوع من الأشعار التي نجد أكثرها مؤثراً وأقلها عظيماً فروق جوهرية

وإذا كان العرب والأيسلنديون قد انصرفوا جميعاً عن الحياة اليومية الواقعية ، وكانت لغتاهما تنمان على الصناعة اللفظية والاناقة الأرستقراطية ، فان من خصائص العرب أنهم وجهوا هممهم إلى الصور البيانية ، ومن خصائص الأيسلنديين أنهم لا يعنون إلا بالنغمة الموسيقية

بين المسرح والسينما

كتب الأستاذ لويس چوفيه في مجلة (لموا) عن الصراع القائم بين المسرح والسينما قال :

تنبأ بعضهم منذ طويل بموت المسرح ، ولكن لينور ماند Lenormand في روايته الأخيرة (شفق المسرح) قد أرسل في الناس نداء مؤثراً دعا فيه الى إحياء الفن التمثيلي . ونحن كذلك جماعة صحت عزيمتهم على ألاّ يدعوا أنفسهم فريسة لذلك الجبار كنج كنج King-Kong وهو السينما

وهذا الموسم التمثيلي قد جاء حجة لنا على ذلك . فانا لم نشهد موسماً مثله قد فتح بمثل هذه القطع الرائعة ، ولا قطعاً كهذه القطع استمر تمثيلها مدة طويلة . لا أريد أن أقدم أرقاماً مخافة أن أخطىء ، ولكن أحداً من الناس لا يستطيع أن يماري في نجاح (كما تحب) و (بس با) و (العهد الجديد) و (أمل) وروايات أخرى لا تقل عنها

إن هناك غير هذا الجمهور الضخم الذي يذهب إلى السينما ، ولا يذهب إلى غيرها ، جمهوراً يحب المسرح . وهو جمهور محصور من غير شك ، ولكنه أرهف ذوقاً ، وأصفى قلباً إلى المظاهرات الفنية مهما تكن . ولماذا نعارض المسرح بالسينما وكل منهما فن قائم بذاته ؟ فللسينما طرق للتعبير والبيان غير محدودة ، وهو في اعتباري طريقة ناجعة لتبسيط الأمور إلى أذهان الجمهور . أما طرق التعبير في المسرح فضيقة قليلة ، ولكنك ترى رجالاً

أحياء ، وذلك مالا تستطيع السينما أن تعوضك عنه . فالاخراج وحده هو الشيء المتماثل فى السينما والمسرح ، وفن إدارة الممثلين فيهما واحد ، ولكن النظام الآلى أضيف إلى ذلك فى الاستديو ، وأصبح شديد الخطورة والأهمية حتى صار الميكانيكى هو المخرج .

* * *

قدم إلى المسرح روايات جيدة يأتك الفوز من تلقاء نفسه . لقد سئم الجمهور هذه الحكايات الصغيرة الداعرة التى ظلت أثناء زمن طويل موضوعاً لروايات المسرح . إن هذه القصص المبتذلة الكالحة أصبحت لا تهم أحداً ، ولا تزيد فى الميزانية فرنكا واحداً

إن شباب اليوم الجديد العملى يريد شيئاً آخر ، فما هو ذلك الشيء ؟ هو شيء يسيغ لهم الحياة اليومية ، ويهون عليهم متاعبها ، ويخفف عنهم مصاعبها . والمسرح لمن يحبونه هو النسيان والسلوان والترفيه من عناء الأعمال العادية . نحن ظماء الى العجائب والروائع . نتمنى أن يوحى المسرح الينا الأحلام ، ويفجر لنا ينابيع جديدة للشعر . نريد من المسرح أن يكون مثابة للعجائب والسحر لا صورة سمجة للحياة اليومية

احملوا إلى مديرى المسارح الروايات الجميلة ، فقد مضى الزمن الذى كانوا يعتذرون فيه بضيق الوقت عن قراءة المخطوطات .. لم يعد منها شيء . والشبان قد انصرفوا إلى القصة وأحجموا عن الرواية . كأن هؤلاء الشباب الذين نشكو عليهم ونركن اليهم ونعتقد أن مساعدتهم ضرورية للمسرح ، يخشون أن يتقدموا اليه

فليتقدم المخلصون للمسرح فى هذه الساعة التى نشبت المعركة بينه وبين السينما فيضمنون فوزه ويؤمنون نجاحه بالأقبال عليه والكتابة له

الشعر والعصور الأولى

نشرت « المصور » التى تصدر فى فينا دراسة ممتعة فى مؤرخ الأدب وناقده الألمانى والترمشج walter muschg جاء فيها عن الشعر باعتباره إرثاً للتقاليد ما يأتى :

« الفن هو تقاليد ورثناها منذ عهد لا يدخل فى حدود الذاكرة ، إذ لا شيء فى الوجود يعرض أمامنا إلا وهو يعود بأصله الى تلك الصور والنقوش التى رسمها ونقشها إنسان أفريقيا الوحشى صوراً لأجداده وصيده ، ومن ثم اتخذها آلهة يؤدى اليها فريضة العبادة

وبرغم ما بين الماضى والحاضر من التباين البعيد ، فان من المستحسن البحث فى حقيقة ارتقاء الفنان بقدر ما نعنى بتتبع الخطوات الأولى التى مرت على الانسان فى حداثته . والأمر كذلك فى الشاعر ، إذ هو صورة للعالم تعبر عنه فى عصر ما ، وتلك صفة هامة تسبق أهميتها الاصطلاحات التى يستعملها ليخرج فى إطارها تلك الصورة

وعلى قاعدة هذه الحقيقة الهامة ، سهلت اليوم دراسة تاريخ الأدب والفن . فالخالق الذى يرتبط بعملية الخلق ويفيد العالم على أساس هذه العملية يختلف عن حضرى مثقف بأعماله العقلية التى يقدمها الينا . إذ لا نستطيع أن نتفهمها حتى نعود به الى ماضيه الذى لا يزال مستقراً فى قرارته

هذا وقد رسم لنا فرويد Freud ذلك الجسر الذى يصلنا بذلك العالم المشبع بتلك التقاليد والفكر ، وهذا الجسر هو الاحلام والخيال موحى الشاعر

وما من شعر رصين إلا كان له صلة بذلك العالم الأول ، صلة بذلك الخيال البعيد المغمور بالأحلام

والشعر لا يثير إعجابنا ودهشتنا إلا لأنه مبعث لفكر عميقة ، لم يأت بعد ادراك حقيقة طبيعتها . وعودة الشعر إلى ذلك العالم المغمور هى السبب فى أن الشاعر يرى بين أهل وطنه غريباً ، كما أن موقفه يختلف عن موقف رجل يمتهن حرفة التجارة ، كذلك ليس فى وسعه أن يختلط بأهل عصره ويسايرهم فى أفكارهم ، لأن ذلك يعد حياداً عن طريقه الذى يجب أن يسلكه بين أناس يحيطون به ولا يعرفون قدره حتى يبلغ رسالته

البريد الأدبي

كتاب عن لوتر

صدر أخيراً فى فرنسا كتاب عن مارتن لوتر زعيم ألمانيا الروحى ، وقد صدرت عن لوتر كتب عديدة بمختلف اللغات ، ولكن هذا الكتاب الأخير يمتاز بطرافة تصويره للرجل الذى صدع من وحدة الكنيسة الرومانية واستطاع بثورته عليها أن ينشئ إلى جانبها مذهباً نصرانياً جديداً هو « البروتستانتية » الذى تتبعه عدة من الأمم العظيمة مثل ألمانيا وانكلترا ومعظم الشعب الأمريكى . وهو من وضع العلامة المؤرخ فرنز فونك برنتانو عضو المجمع العلمى الفرنسى . وفونك برنتانو مؤرخ وافر البراعة والقوة ، وافر الطرافة قبل كل شئ ، وهو اليوم فى نحو الثمانين من عمره ولكنه مازال دائب البحث والانتاج ، وكتبه وبحوثه تثير دائماً فى الدوائر العلمية كثيراً من الاهتمام والتقدير . وله فى بعض الشخصيات والمسائل التاريخية نظريات جديدة ؛ مثال ذلك أنه فى كتابه عن « لوكريزيا بورجيا » ابنة البابا اسكندر السادس يذهب فى شأنها إلى رأى جديد ، ويصور هذه المرأة التى صورتها التواريخ والقصص ، عاهراً من أشنع وأخطر نوع ، سيدة عفيفة وزوجا أمينة مخلصة ، وقديسة محسنة ، ويدعم رأيه بالوثائق والوقائع التاريخية ؛ ومن رأيه أيضاً أن لويس الخامس عشر ملك فرنسا الفاجر المتهتك ، قد ظلمه التاريخ ، وأنه لم يكن كما صور من إغراق فى التبذل والغواية ، وأن سجن الباستيل لم يكن دائماً كما تصوره التواريخ معتقلاً مروعاً تخمد فيه الرغبات والأنفاس ، ولكنه فى أحيان كثيرة كان يغدو من الداخل قصراً أنيقاً تقام فيه المآدب والحفلات الشائقة ، بل وتهب فيه ريح الغرام والحب ؛ وهكذا

أما لوتر فمن هو وما هو ؟ هو نوع من البركان أو اللهب تنفست عنه ألمانيا فى القرن السادس عشر ، وهو ليس بقس فقط يحاول ثورة على الكنيسة ، ولكنه رجل عظيم يضطرم بالمثل الانسانية العامة ؛ ومتصوف لا تضيره العزلة ، ولكنه لا يرى الكمال فى إخضاع النفس والشهوات ؛ وهو من الوجهة الاجتماعية « محافظ » ، وقد بذه من الوجهة الأخلاقية أحبار مثل البابا اسكندر بورجيا ، فلم يخرج على الأخلاق والحشمة خروجهم ، وما هو الزواج وشرب النبيذ ؟ وقد أثارت نزعة « الأحياء » كل مسألة فى كل مكان ، ولكن لوتر لم يثر سوى مسألة واحدة هى « تنظيم الجمهورية النصرانية » ثم هو يمثل فى ثورته روح الوطنية الألمانية الصميمة ، فهو يبث الرعب والروع من حوله ، ولكن من ورائه ، بعيداً عن الفكرة الدينية ، شعوب ألمانيا كلها ؛ أحباراً وأمراء وشعباً

ومن هو لوتر من الوجهة الشخصية ؟ هو رجل قوى البنية جاف الملامح ، شاعر متواضع ، وخطيب مفوه ، ومجادل قوى الحجة ، ومتصوف مكتئب ، وموسيقى ، وشجاع حين تجب الشجاعة ، وديع ذلول إذا خلا بنفسه ، مضطرم الذهن ، يفيض رأسه دائماً بالتصورات المروعة ؛ عدو الطبقات الرفيعة ، دون أن يعرف كيف أو أنى يسير

أما الثورة على رومة فليس من المحقق أنه كان يرمى إلى الانشقاق عليها ، ولعله كان يؤمل منها الأذعان والتسليم ؛ ولعله كان يعتبر نفسه مصلحاً فقط للكنيسة ، وهو ما يخالق بقس ذكى ؛ وهناك ريب فى أنه كان يعمل لانهيار هذا الصرح الشامخ الذى شادته الكنيسة خلال القرون ، وأقامته فوق التوازن بين قوتين : زعامة الكنيسة الروحية ، وسلطة أوربا الدنيوية . وأن أوربا فى القرن العشرين ، أوربا المضطربة ، لا تستطيع إدراكاً لتلك الوسائل التى لجأ إليها هذا القس البارع — زعيم ألمانيا وزعيم الفردية — فى تحقيق هذا الانقلاب العظيم

هذا هو ملخص الصور المختلفة التى يقدمها العلامة فونك برنتانو عن بطل ألمانيا القومى وبطل البروتستانتية فى كتابه الجديد

البحث عن أصل الانسان

ما زال البحث عن أصل الأجناس البشرية من أهم المسائل التي يعنى بها العلم الحديث ؛ وفى كل عام توفد البعوث العلمية المختلفة الى مختلف الأقطار المجهولة لتجرى فيها ما تستطيع من التحقيقات والمباحث التى تلقى الضـياء على أصل الانسان والأجناس البشرية ، وقد أعدت أخيراً فى فرنسا بعثة جديدة لمعالجة هذه المباحث فى مجاهل أفريقية ؛ وذلك تحت رعاية وزارة المعارف الفرنسية ، ومعهد علم الأجناس ، ومؤسسة روكفلر العلمية ، وانتخب لرآسة البعثة علامة ومكتشف شاب هو المسيو مارسل جريول الذى برهن على مقدرة خاصة فى القيام بمثل هذه المباحث . وقد قاد المسيو جريول قبل ذلك بعثة فى قلب أفريقية قطعت ما بين دكار عاصمة السنغال فى الغرب وجيبوتى على البحر الأحمر فى أقصى الشرق ، ما بين سنتى ١٩٣١ ، ١٩٣٣ ؛ وقام قبلها أيضاً برحلة علمية فى الحبشة ، ونشر عنها كتابا كان له وقع عظيم عنوانه « حملة المشاعل للأنسان » . والبعثة الجديدة مكونة من تسعة أعضاء ، منهم مصور سينمائى وثلاث سيدات ، وتنوى البعثة أن تبدأ بالسيارات من غرب أفريقية متجهة نحو الشرق بطريق بلاد الدوجون والهابيس ومرتفعات بانديا جرا ومنحنى نهر النيجر ؛ وهى أنحاء اخترقها جريول من قبل ووضع عن خواصها وأحوال سكانها بحوثاً قيمة . وكان أهم ما لفت الأنظار ما كتب عن هؤلاء السكان السود من الحقائق الغريبة ، وهى أنهم يعيشون فى كهوف من الصخر رتبت مخادع صغيرة ؛ وكل مجموعة من الربى تكون قرية خاصة ؛ وهم يعيشون فى جو من التقديس يفيض بذكر الآلهة والخرافات الغريبة ، ويعنون بصنع الأقنعة المقدسة والوشم المقـدس ؛ ولهم رسوم دينية مدهشة ؛ والسحر ذائع بينهم ، وتكثر بينهم الرموز الخفية ؛ وعلى الجملة فهم أكثر الشعوب تمثيلاً للأنسان الأول وعصر ما قبل التاريخ . وستعنى البعثة باستيفاء هذه البحوث والحقائق ، ويعنى السيدات المرافقات للبعثة بدرس أحوال النساء ونظام الأسرة فى هذه الأنحاء

أزمة الفنون

كان للأزمة الاقتصادية أثرها فى المسرح الفرنسى ؛ فأغلق كثير من المسارح ودور اللهو المعروفة ، وخفضت مرتبـات مشاهير الممثلين والفنانين ، وظهر هذا الأثر قوياً فى مسرح الحكومة الرسمى (الكوميدى فرانسيز) أشهر مسارح فرنسا ، وعجز دخله عن أن يفى بنفقاته ، وأحدثت هذه الحالة فى نظام المسرح العظيم اضطرابا لم يسبق أن عاناه ؛ واهتمت وزارة المعارف الفرنسية بالأمر وأخذته بين يديها ؛ وتباحث وفد من أقطاب الكوميدى فرانسيز مع وزير المعارف فى الحلول الممكنة ، وطلب أن ينظر بالأخص فى معاشات أعضاء المسرح الحاليين على المعاش لأن كثيرا منهم غدا فى حالة يرثى لها . وكان من الحلول المقترحة لمعالجة الأزمة أن تقوم فرقة الكوميدى فرانسيز برحلات فى الخارج ، فى إيطاليا وأمريكا الجنوبية وغيرها ، وفى القاهرة الآن فريق من ممثلى هذا المسرح الشهير يعملون فى دار الأوبرا الملكية

شتيفان جروسمان

من أنباء ڤينا أن الكاتب النقادة شتيفان جروسمان قد توفى فى سن الحادية والستين ، وكان جروسمان كاتباً وصحفياً كبيراً ، ولد بمدينة ڤينا ، ونشأ بها ؛ وظهر فى الصحافة بكتاباته النقدية القوية ، وعنى جروسمان بالمسرح وشئونه عناية خاصـة ، وكان له رأى فى المسرح ينادى به ويعمل له ، وهو أن يكون المسرح شعبياً محضاً ، ينشأ للشعب ولثقافة الشعب ؛ وقد ذاعت فكرته مدى حين فى مدينة الفنون والمسارح (ڤينا) وغدت حركة حقيقية ، ولكنها لم تفض الى نتائج عملية . وكان جروسمان يرسل صيحاته النقدية والاصلاحية على صفحات فى الصحف النمسوية الكبرى مثل « النويه فرايه بريسيه » و « التاجبلاط » وغيرهما ، ومنـذ أعوام غادر جروسمان ڤينا الى برلين ، واشتغل هنالك بالصحافة والشئون المسرحية أيضاً . ثم عاد الى ڤينا بعد ردح من الزمن ، وفيها توفى منذ أسبوعين

فى جامعة السوربون

توفى العـلامة المؤرخ رايمون جيو أستاذ التاريخ بجامعة السوربون فى السابعة والخمسين من عمره . وكان مولده بباريس سنة ١٨٧٧ ، وتخرج من مدرسة المعلمين العليا (النورمال) ونال الأستاذية فى التاريخ . وتولى التدريس زمناً قبـل أن يجلس على « الكرسى » . ولما توفى المسيو أميل بورجوا الذى كان يشغل كرسى التاريخ فى كلية الآداب ومدرسة العلوم السياسية ، عين مكانه فيه الأستاذ جيو . وللعلامة المتوفى كتب ورسائل كثيرة فى موضوعات تاريخية مختلفة ولا سيما مسائل أوربا الحديثة

الكتب

كتاب تتمة اليتيمة

للثعــالبي

نشره وقدم له الأديب عباس اقبال

مررت بباريس قبل سبع سنين ، فزرت الأديب العلامة محمد بن عبد الوهاب القزويني لأفيد من علمه الغزير ، ولقيت عنده الشاب الأديب عباس اقبال ، وكنت قرأت فى كتاب للعلامة القزويني أن الثعالبي أكمل اليتيمة فى كتاب سماه تتمة اليتيمة ، وأن نسخة منه فى مكتبة باريس ؛ فتكلمنا يومئذ عن الكتاب ، وعزمت أن أشير على لجنة التأليف والترجمة بطبعه .

ثم ضرب الزمان ضرباته حتى ذهبت الى طهران هذا العام فاذا صديقنا الأديب عباس اقبال قد طبع التتمة فى جزءين صغيرين طبعاً متقناً وجاء يهديها الىّ ، فسررت كل السرور بطبع هذا الكتاب القيّم ، وأثنيت على جهد الأديب اقبال وهمته

وإنى لراج أن يذيع الكتاب بين الأدباء ليكمل به نقص اليتيمة

وفيما يلى ترجمة المقدمة الفارسية التى كتبها الأديب النابغة عباس اقبال لهذا الكتاب :

الأمام أبو منصور عبد الملك الثعالبي النيسابورى (٣٥٠ — ٤٢٩ ه) أديب من أدباء إيران النابغين ، أمضى معظم عمره ، أواخر القرن الرابع الهجرى وأوائل الخامس ، فى تأليف كتب كثيرة فى فنون شتى من الأدب واللغة والتاريخ . وكتب مؤلفاته كلها باللغة العربية اتباعاً لسنة ذلك العصر ، إذ راجت سوق هــذه اللغة واستأثرت بالعلوم واتسعت وعمت . ونحمد الله على أن أكثر مؤلفات الثعالبي ، وبعضها رسائل صغيرة ذات أوراق قليلة ، لم تذهب بها الحادثات

من كتب الثعالبي كتاب يعد من أجل كتبه ، واليه يرجع أكثر صيته ، وهو كتاب يتيمة الدهر فى محاسن أهل العصر . كتب الثعالبي نسخته الأولى سنة ٣٨٤ ، ونسخته الآخرة بين سنتى ٤٠٢ و٤٠٧ . وأودعه من آثار الشعراء المعاصرين والذين تقدموا زمانه بوقت قصير ، وضمنه بعض أخبارهم

قسم الثعالبي كتاب اليتيمة أربعة أقسام : القسم الأول فى محاسن أهل الشام والجزيرة ، القسم الثانى فى محاسن أشعار أهل العراق ، القسم الثالث فى محاسن أهل الرى وهمذان واصفهان والجبل وما يتصل بها ، القسم الرابع فى محاسن أهل خراسان

والكتاب لا يعنى كثيراً بأخبار الشعراء الذين ترجم لهم الثعالبي فى الأقسام الأربعة كما يعنى بذكر أشعارهم ، ونبذ من منثورهم أحياناً ، ولكنه مع هذا يشتمل على كثير من الفوائد التاريخية المهمة ، ولا سيما فى القسمين الثالث والرابع اللذين يتضمنان تراجم الشعراء الذين عاشوا فى إيران وما يتصل بها . وهو من هــذه الجهة يحوى فوائد قيمة ، وبعض الشعراء الذين ترجم لهم الثعالبي فى هذين القسمين ممن عرفوا فى عُرف ذلك العصر بالشعراء ذوى اللسانين : أى الذين نظموا بالعربية والفارسية. وقد أثبت فى مواضع ترجمة بعض شعرهم الفارسى ، وفى موضع أو اثنين نماذج من شعرهم الفارسى أيضاً . وهذه النبذ على قلتها ذات خطر يجعل اليتيمة من المنابع المهمة ، لتحقيق تاريخ إيران وتاريخ الأدب الفارسى فى القرنين الرابع والخامس

وقد ذيّل اليتيمة كتّاب آخرون ، ساق كل منهم الكلام من حيث انتهى الثعالبي إلى زمانه هو . وأكثر هــذه الذيول انتشاراً كتاب دمية القصر لعلى بن الحسن الباخرزى تلميذ الثعالبي . ويُعتبَر ثانى اليتيمة فى القيمة والفوائد التى ذكرنا . ويؤسفنا أن الدمية على مكانتها الأدبيــة لم تطبع حتى اليوم : والطبعة الناقصة المشوهة التى طبعت فى حلب قبل بضع سنين لاتعدل فلساً . وأول من ذيل اليتيمة فأكمل نقصها بذكر الشعراء الذين نسيهم المؤلف أو لم يظفر بشىء من أشعارهم وأخبارهم حين التأليف ، أو نُبهوا بعد انتشار الكتاب ، هو الثعالبي مؤلف اليتيمة نفسه . ويؤخذ من مقدمة النسخة النهائية للمجلد الأول من اليتيمة أنه جدّ منذ نشر النسخة الأولى سنة ٣٨٤ فى تكميل اليتيمة والزيادة عليها . حتى تسنى له أن ينشر النسخة الأخيرة بين سنتى ٤٠٢ و٤٠٧ ، وأهداها إلى الأمير أبى العباس مأمون

ابن مأمون خوارزمشاه المتوفى سنة ٤٠٧ فى سن ٣٢ (١)

وبعد ما يقرب من عشرين سنة من انتشار النسخة الأخيرة من اليتيمة ألف الثعالبي كما يقول هو فى مقدمة النسخة التى بأيدينا كتاباً لطيفاً على نسق اليتيمة وترتيبها سماه تتمة اليتيمة ، أراد به أن يرفع نقص اليتيمة ويجبر كسرها وأن يكون ضميمة للكتاب الأصلى تبلغ به اليتيمة الحدّ الذى بلغه جهد الثعالبى . ومعنى هذا أن كتاب اليتيمة ناقص بدون هذه التتمة ؛ وقد عرف ذلك الثعالبى نفسه . ذلكم بأن الذيل الحاضر ، يحتوى على أسماء كثير من الشعراء الذين أغفلتهم اليتيمة أو نبه شأنهم بعد انتشارها ، فضلاً عن أنه يعين على إكمال تراجم عدة من الشعراء الفضلاء الذين ذكروا فى اليتيمة . فالتتمة ذات خطر كبير ولا سيما قسمها الرابع الذى يتضمن أخبار أركان الدولة وأعيان الحضرة أى المنشئين والمستوفين والأدباء والشعراء الذين التفوا حول الملوك الغزنويين . هذا القسم يعد أعظم أقسام هذا الكتاب من حيث إنارته مواضع مظلمة من تاريخ إيران وآدابها ، واشتماله على أنباء كثير من الوزراء والمنشئين والشعراء والأدباء النابهين

ألف الثعالبى كتاب التتمة فى أيام السلطان مسعود الغزنوى ما بين سنتى ٤٢٤ و ٤٢٩ وثبتُ هذا أن سنة ٤٢٤ وردت مرتين فى هذا الكتاب (ص ١١٤ و ١٤٥) ، وأن شمس الكفاة خواجه أبا القاسم أحمد بن حسن الميمندى وزير السلطان مسعود كان قد توفى حين تأليف الكتاب ، ووفاته كانت سنة ٤٢٤ . (ارجع إلى صفحة ١٤٦ و ١٥٥) فلا يمكن أن يكون تاريخ التتمة مقدماً على هذه السنة ، والمؤلف مات سنة ٤٢٩ ؛ فتأليف الكتاب محصور بين سنتى ٤٢٤ و ٤٢٩ . وتتمة اليتيمة ، كاليتيمة ، اشتهرت منذ عهد المؤلف وصارت مرجع الأدباء . وقد اطلع عليها ياقوت الحموى ونقل عنها فقرات فى كتابه معجم الأدباء . وحاجى خليفة يقول تحت عنوان اليتيمة إن للكتاب ذيلاً ألفه الثعالبى ، وذكر اسمه صريحاً ، ولكن هذا الاسم « تتمة اليتيمة » حرّف إلى « يتيمة اليتيمة » فى كشف الظنون المطبوع .

وابن خلكان كذلك اطلع على هذا الكتاب وذكره فى ترجمة أبى محمد عبد المحسن بن محمد الصورى (ج ١ ص ٤٢٨ — ٤٢٩ من طبعة باريس) ، وقد نقل قطعة من الشعر نسبها الثعالبى فى التتمة إلى أبى الفرج بن أبى حصين القاضى الحلبى (راجع ص ٦٨ من هذا المتن) ثم اعترض على مؤلف التتمة وقال هذه الأبيات لعبد المحسن الصورى ، رأيتها فى ديوانه ، وأخطأ الثعالبى فى نسبة أشياء الى غير أهلها فيحتمل أن تكون هذه الفقرة منها

قلنا إن كتاب التتمة كان فى يد ياقوت الحموى . وقد نقل منه ياقوت فقرات بعينها ، ومن ذلك نبذة فى ترجمة أبى العلاء المعرى (ج ١ ص ١٧٢) ، وأبى على بن مسكويه (ج ٢ ص ٩) والسيد المرتضى (ج ٥ ص ١٧٥) ، وأبى جعفر محمد بن اسحاق البجانى (ج ٦ ص ٤١٢) وغير ذلك . وليس خروجاً عن الموضوع أن أنبه هنا الى مسألة : ينقل ياقوت فى معجم الأدباء (ج ١ ص ١٧٢) أبياتاً رواها الثعالبى لأبى العلاء المعرى ، ثم يقول : قال وأنشدنى لنفسه : « لست أدرى ولا المنجم يدرى » الى آخر القطعة

وهذه القطعة ، كما يتبين من هذا الكتاب (صفحة ١٠) لأبى القاسم المحسّن بن عمرو بن المعلى الذى يذكره الثعالبى فى التتمة بعد أبى العلاء المعرى بلا فاصل لا لأبى العلاء المعرى . وراوى القطعة المذكورة أبو يعلى البصرى لا أبو المحسن الدلفى المصّيصى الذى يروى عنه الثعالبى ويتبعه ياقوت ، أخبار المعرى وأشعاره . فيفهم من هذا أن نسخة التتمة التى كانت فى يد ياقوت فيها نقص ، أسقط كاتبها بعد أخبار أبى العلاء المعرى اسم أبى القاسم المحسن بن عمرو بن المعلى . وقد رأيت هذه الأشارة جديرة بالذكر هنا لتصحيح هذا الموضع من معجم الأدباء المطبوع

النسخة التى بأيدينا صورة من نسخة مخطوطة وحيدة فى مكتبة باريس مكتوبة بخط نسخ جميل . وهى ملحقة بأجزاء التتمة كلها فى جلد واحد يحوى ٥٩١ ورقة أى ١١٨٢ صفحة ورقمه (Arabe 3308) . وتشغل أقسام التتمة الأربعة من صفحة ٤٩٨ إلى ٥٩١ . وقد طبعناها فى جزءين لأسباب نذكرها بعد

نسخة باريس مؤرخة ١٧ صفر سنة ٩٨٩ ؛ وإذا استثنينا أغلاطا كتابية وسقطاً قليلا ، فالنسخة فى نهاية الجودة والصحة

ثم ختم كلامه بقوله : والمرجو أن تقع هذه الخدمة الصغيرة موقع القبول عند الأدباء وينظروا اليها بعين الرضا والأنصاف

عبد الوهاب عزام

---

(١) فى نسخة عند الناشر من الجلد الرابع لليتيمة مقدمة ليست فى طبعة دمشق . فى هذه المقدمة يقول الثعالبى إنه أنهى ثلاثة أرباع الكتاب ثم تأخر ختمه أى كتابة الربع الأخير مدة بما طرأ من الحوائل والنوائب ، ولزم من الأسفار حتى ناله فيض الأمير أبى العباس مأمون خوارزمشاه . فلما رأى شوقه العظيم إلى إتمام الكتاب أتمه برسم خزانة كتبه

ووفاة أبى العباس سنة ٤٠٧ ، فتاريخ ختم النسخة الآخرة من يتيمة الدهر مقدم على هذا التاريخ . وقد ذكر أيضاً فى هذا الكتاب المحرم سنة ٤٠٢ ، فاتضح أن تحرير النسخة الآخرة لم يكن قبل هذه السنة (٤٠٢)